

# البجا و شرق السودان في العصر التاريخي القديم (2200 ق.م. إلى 580 م.)

كلية الآداب - جامعة الخرطوم

أ.د. سامية بشير دفع الله

## المستخلص:

منهج البحث المقال دراسة تاريخية لحقبة من حقبة العصر التاريخي القديم؛ فطبيعي أن تستخدم الكتابة المنهج الذي يستخدمه مؤرخو هذه الحقبة. وعليه، اعتمدت الكتابة على مصادر كتابية تتمثل في نقوش، برديات، مكتوبات على مواد مختلفة كجلد الحيوان و روايات من كتب المؤرخين الكلاسيكيين. نسبة لشح هذه المصادر وبوجود مصادر أثرية ذات علاقة، تم تدعيم المصادر الكتابية بالأخيرة. استخدمت الكتابة تقارير الحفريات، وتحليلات خبراء الآثار، وكتب ومقالات في تاريخ السودان القديم كتبها آثريون.

## الهدف:

بناء إطار تاريخي لشعب البجا وللأحداث التي جرت في أرضه من الفاعلين الأجانب. طريقة تناول: تناولت الكتابة الموضوعات والأحداث بحسب التسلسل الزمني. وتبنت طريقة الحقب التاريخية؛ ونسبة لوقوع وطن البجا في كل من مصر والسودان، فكانت الحقب المصرية هي: الفرعونية، البطلمية، الرومانية والبيزنطية. أما الحقب السودانية فهي: الكوشية النبتية، والكوشية المروية، والمجموعة س. الموضوعات الرئيسة يتم تقسيمها لموضوعات فرعية. النتائج: توصلنا للنتائج الآتية: أصل الاسم بجا مشتق من لفظة مصرية m-d3y- (م-دجاي) بمعنى العابرون. أصل الاسم بليميون أيضاً محرف من لفظة مصرية صعيدية (بلهم) ومنها انتقل الاسم للإغريق. ينقسم شعب البجا القديم لقبائل متعددة. كان لكل قبيلة زعيم. تشترك جميع القبائل في أسلوب الحياة وهو البداوة والترحال وشن الغارات على جيرانهم المستقرين. لكن العادات والتقاليد تختلف من قبيلة لأخرى. تعودت مجموعات من البجا الشماليين النزوح للنيل للاستقرار أو الحصول على وظائف. الاستنتاجات: البجا من أعرق الشعوب السودانية. تقع بلادهم في منطقة شرق إفريقيا المشهود لها علمياً بأنها مهد الإنسان الأول وكذلك مهد الإنسان العاقل. البليميون النيليون ربما لعبوا أدواراً تاريخية هامة في تاريخ السودان النيلي القديم منذ القرن الثالث الميلادي. ربما وصل بعض قادتهم العسكريين لمناصب عليا مكنتهم من بسط نفوذهم في الإقليم المتاخم لمصر، ومن ثم تكوين مملكتهم النيلية بين أسوان و قصر إبريم في نهاية القرن الرابع الميلادي.

## The Beja and the Eastern Sudan during the Period (2200 B.C 580 AD)

Mr. Dr. Samia Bashir Dafallah

### Abstract:

This article is an attempt to utilize the available documentary and archaeological material to construct the ancient history of the Beja people. However, emphasis is made on the written sources. These are composed of inscriptions, papyri, and accounts of the classical authors. The languages are: Egyptian, Greek, Latin and Coptic. All are available in reliable English translations. The sources however deal mostly with the Beja living close to the Nile valley and those living along the coast of the Red sea. The southern Beja may be sought in Auxmite sources. The material is presented in a chronological order: thus beginning with the most ancient tribe of the Beja; the "Medjay" as called by the Egyptians of the sixth dynasty. The Meday were bedouins, they became renowned for their fighting abilities and excellent knowledge of the desert routes. The next tribe is the tribe of the Blemmyes; they are the best known because the data concerning them is relatively rich. The texts depict them as marauders attacking innocent people. Groups of Blemmyes emigrated to the Nile valley and succeeded in establishing a kingdom of their own between Aswan and Qasr Ibrim while retaining their original pastoral kingdom in the east desert. While in the valley they contacted with their northern neighbors in Egypt, the Pharaohs, the Ptolemies and the Romans in various ways; some positive and others negative. The texts mention two other Beja tribes viz: The Megabaroie and the Trogodite.

### مقدمة:

يسكن البجا الصحراء الشرقية التي يقع الجزء الشمالي منها في الأراضي المصرية بمحاذاة مدن جنوبية مثل فقط، موعلا، إدفو الأقصر وأسوان. لكن يقع الجزء الأكبر من وطن البجا في الأراضي السودانية. شرقاً تمتد أرضهم حتى ساحل البحر الأحمر الغربي. غرباً تمتد حتى نهر عطبرة ومواقع سُكان وادي النيل المستقرين في ولاية نهر النيل الحديثة. جنوباً تتداخل أرض البجا الجنوبيين (البنى عامر) مع أراضي بعض القبائل الإريترية في جمهورية إريترية الحديثة.

بشكل مبدئي ، يمكننا الصدع بأن تاريخ سكنى البشر في الصحراء الشرقية بشكل عام يعود للبدايات المبكرة لوجود الإنسان على سطح البسيطة. فقد أثبتت دراسات حديثة أن سكان شمال شرق إفريقيا ، وفيها تقع الصحراء الشرقية ، يمثلون أقدم السلالات البشرية على الإطلاق<sup>(1)</sup>. من جهة أخرى وفيما يتعلق بشرق السودان تحديداً، كشفت تنقيبات حديثة جرت في العام 2015 عن أدوات حجرية أشولية يعود تاريخها لحوالي 400000 (أربعمائة ألف) سنة مضت. تمت هذه الاكتشافات بطريق الصدفة كنتيجة لنشاط المعدنين الباحثين عن الذهب في الصحراء الشرقية . فقد تم مؤخراً اكتشاف موقع يعود للعصر الحجري القديم في منخفض الهدي على بعد حوالي 70 كلم شمال شرق مدينة عطبرة ، تولى التنقيب فيه بعثة بقيادة خبير الآثار م. ماسوج ( M. Masojc ) من جامعة وروسلاو البولندية وقد شارك في التنقيب عدد من علماء الآثار السودانيين<sup>(2)</sup> . وأطلق على المشروع مسمى EDAR وهو اختصار لعبارة River Eastern Desert Atbara

قام بتمويل المشروع جهات متعددة ، من بينها معاهد أبحاث كورية يمثلها المعهد الكوري للجيولوجيا ، وجهات سودانية تمثلها شعبة الآثار بجامعة النيلين. حقق المشروع نتائج في غاية الأهمية تتعلق بالعصر الحجري القديم المبكر « الأشولي » والمتوسط . الموقع من حيث طبيعته الجيومورفولوجية رسوبي متعدد الطبقات يبلغ عمقه حوالي الخمسة أمتار. في الطبقات العليا عثر على أكثر من أفق من الأدوات تنتمي للعصر الحجري القديم المتوسط . التواريخ المختبرية للطبقات العليا أعطت أزماناً تتراوح بين 60000 إلى 220000 سنة مضت تمثل القديم الأوسط . في أسفل الطبقات تم العثور على أدوات تعود للعصر الحجري القديم الأسفل (الأشولي) وقد أعطت تورياً 400000 (أربعمائة ألف) هو الأقدم في هذا الجزء من القارة الإفريقية .

من جهة أخرى وفي بحث مشترك لعدد من العلماء من بينهم رئيس البعثة المذكورة أعلاه تم الربط بين إنسان هذا الموقع وبين هجرات الإنسان المنتصب ومن بعده الإنسان العاقل إلى أوروبا عبر سيناء وشمال إفريقيا ، وعبر البحر الأحمر أو باب المنذب إلى آسيا. وخلص فريق العلماء نفسه إلى أن الحياة في الصحراء الشرقية كانت ممكنة خلال الفترات الدافئة والمطيرة التي حدثت خلال عصر البلايستوسين وأن الصحراء الشرقية لم تكن صحراء جرداء قاحلة كما هي حالتها اليوم بل كانت تتوفر فيها مياه وفيرة خلال الفترات المطيرة ، وبالتالي توفر نتيجة لذلك غطاء نباتي وثروة حيوانية متنوعة كافية لاستيطان البشر<sup>(3)</sup>.

من ناحية أخرى أبانت تنقيبات عديدة أجرتها البعثة الإيطالية في شرق السودان وجود علاقات وصلات بين سكان الصحراء الشرقية وسكان وادي النيل في مصر والسودان وهو ما أكدته الكتابات والنقوش التي ستعرض لها في هذا البحث. أكدت كذلك وجود علاقات بينهم وبين سكان الجزيرة العربية في البر الشرقي للبحر الأحمر .

## أصل البجا:

## أولاً: أصل المسميين «مدجا» و «بليميون» :

يعتقد كثير من العلماء أن الشعب الحديث المعروف بـ «البجا» الذي يسكن الصحراء الشرقية الآن هم أحفاد المدجاي المذكورين في كتابات مصرية قديمة تؤرخ أقدمها للأسرة المصرية السادسة (حوالي 2345-2181 ق.م). ومعلوم أن قدماء المصريين خلال حقبة زمنية محددة أطلقوا على سكان الصحراء الشرقية اسم مدجاي وعلى موقع سكنهم اسم مدجا. و تعبير «أحفاد» هنا لا نقصد به المعنى الجيني للفظه وإنما المقصود به بدءاً هو أن الشعبين، المدجاي القدماء والبجا الحديثين، سكنا نفس المنطقة، أي الصحراء الشرقية، هذا فضلاً عن الاشتراك والشبه في السلوك وطبيعة الحياة والعادات والتقاليد بين المدجاي (قدماء البجا) كما وصفها الإغريق والرومان والعرب وبين عادات و تقاليد البجا الحاليين كما نرصدها ونشاهدها الآن، وكذلك احتمال وجود شبه بين لغتي المدجاي والبجا الحديثين. كذلك اعتقد جمهور العلماء أن الشعب المذكور في الكتابات القديمة سواء مصرية، إغريقية، قبطية باسم بلهمو- برهمو، أو بليمين أو بالنموي، أصبحوا يُعرفون لاحقاً بـ البجا، بينما اختفت تلك المسميات عدا القبطية. ومما يقوي فكرة مساواة البجا بالبليمين، بل يحسمها، أنه وجدت كتابات بالإغريقية تعود للقرن العاشر الميلادي كتبها المؤرخ كوسموس ذكرت البجا في متن العمل؛ ثم أضافت معلومة على سبيل الشرح في هامش النص تقول إن البجا هم البليميون<sup>(4)</sup>. شبيه بعمل كوسموس مقارنة أخرى ذكرها بلمي؛ في رسالة باللغة العربية اكتشفها في قصر إبريم والتي تكاد تكون ترجمة حرفية لنص قبطي ذُكر فيه البليميون، تم فيها تعديل «بليميون» إلى «بجا»<sup>(5)</sup>. كل ذلك يدل على أن البليمين شعبة أو بطن من بطون البجا بدأوا في لعب أدوار مهمة في الفترة الرومانية وما بعد. وهكذا نخلص إلى أن قولنا أو إشارتنا إلى البجا القدماء أو قدماء البجا في هذا البحث نقصد به المدجاي والبليمين، بل وكل الشعوب التي سكنت الصحراء الشرقية في تلك الفترة القديمة مثل التروكوديت والميقاباروي وغيرهم، وإن كان هؤلاء الأخيرين لم تتوفر عنهم معلومات كافية كما توفرت عن المدجاي والبليمين.

أما احتمال إنحدر الاسم بجاء الحديث من المصرية مدجا نسبة للشبه اللفظي الملحوظ، فهو أمر اختلف بشأنه العلماء؛ فهناك من ذهب لوجود علاقة وهناك من رفض وجود أي علاقة. عالم اللغات الفرنسي كلود ريلي مثلاً لا يستبعد وجود علاقة لغوية، ويقول إنه من الجائز جداً انحدر الاسم بجاء الحديث من المصري مدجا-مدجاي<sup>(6)</sup>. من جهة أخرى يعتقد الخبير بيخاوس- قيرست بعدم وجود علاقة لغوية حتى في ظل وجود علاقة شبه بين لغة البجا القدماء والبجا الحديثين<sup>(7)</sup>.

هناك خبراء في اللغة المصرية يعتقدون أن المسمى مدجاي له معنى في اللغة المصرية؛ الأستاذة مشو- كولومبو مثلاً قالت إن أصل الاسم يرجع للفظه مصرية م- دجاي (m-d3y) التي

تعني « العابرون ». وتضيف إن المنطقة المقصودة بالعبور هي المنطقة بين النيل والبحر الأحمر والتي تتمثل في ما صار يعرف ب الصحراء الشرقية أو النوبية<sup>(8)</sup>.

أما معنى الاسم بليميون فقد اعترف العلماء بصعوبة وجود تفسير له، فاعتبره بعضهم معضلة حقيقية. فبعد أن ابان أن اللفظة المصرية الديموطيقية بلهمو والإغريقية بصيغة الجمع ΒΛΕΜΜΟΥΣ والقبطية ΒΑΛΝΕΜΜΩΟΥΙ, Balnemmōui كلها مترادفات تشير لنفس الجماعة، وأن الإغريقية مشتقة من الديموطيقية، اقترح العالم فايسيشل (Vycichl) بأن الاسم في شكله المصري الديموطيقي بلهمو ربما استمر مستخدماً منذ ظهوره لأول مرة إلى يومنا هذا في بعض المواقع المصرية. فقد عُرف عن سكان الأقصر الحاليين استخدامهم تعبير بلهم بلهم، بمعنى يتحدث بلغة غير مفهومة. وبالرغم من أن فايسيشل لم يتبن هذا التفسير، إلا أنه وجد استحساناً وقبولاً من الأستاذ كريستيد<sup>(9)</sup>. ونحن بدورنا وجدناه مناسباً ونعتقد أن الإغريق أخذوا الاسم من المصريين في وقت ما خلال الفترة البطلمية. ومن خلال هذا الفهم يمكن تفسير معنى لفظ « بليميون » بأنه يعني جماعات تتحدث بلغة غير مفهومة<sup>(10)</sup>.

هذا عن معنى الاسم وأشكاله، أما عن شموله فالراجح أن اسم البليميين لم يكن شاملاً لجميع سكان المنطقة التي يسكنها البجا إنما اختص بشعبة واحدة منهم لا سيما أولئك القريبين من الحدود الجنوبية لمصر والذين سيطروا على موارد الزمرد في الصحراء الشرقية واحتلوا إقليم دودي كاسخوينوس في النوبة السفلى على أيام الرومان في مصر. هؤلاء شكلوا بمرور الزمن طبقة أرستقراطية استطاعت على مدي نحو ثمانية قرون أن تسيطر على مجموعات كثيرة من البجا الشماليين وأن تستخدمهم لتحقيق مصالحها التوسعية والاقتصادية<sup>(11)</sup>. أما سكان الصحراء الشرقية في الداخل، القريبين من الساحل أو القاطنين في المناطق الجنوبية فقد أشارت إليهم المصادر الإغريقية بمسميات مختلفة؛ أشهرها الترقولديت. الجنوبيون منهم ظهروا في المصادر الأوسومية تحت مسمى بوجا أو بوجايت. وسنعود للتفصيل عن هؤلاء في مكان آخر من هذا البحث.

لتقريب فكرة إن « بليميون » هو اسم لشعبة من شعب البجا، دعونا ننظر في أفرع وشعب قبائل البجا الحالية. تتكون قبائل البجا اليوم من خمسة مجموعات يطلق عليها في السودان مسمى نظارات البجا وهي: الهدندوة، والأمرار والبشارين والحلقنة والبنبي عامر. وهؤلاء ينقسمون لمجموعتين رئيسيتين؛ الأولى جنوبية ويمثلها اليوم البني عامر. هذه الأخيرة رغم أن جوهرها حامي (إفريقي) إلا أنها لم تختلط بالعناصر السامية التي هاجرت للمنطقة في زمن موغل في القدم من جنوب الجزيرة العربية، لكنها أخذت منهم لغتهم حيث تعتبر لغة البني عامر (التجراي) لغة سامية الأصل. بقية نظارات البجا تنتمي للمجموعة الشمالية التي تتحدث اللغة البداوية الحامية. بالرغم من ذلك اختلطت هذه المجموعة الشمالية بالغزاة العرب الذين دخلوا بلادهم من الشمال عن طريق مصر فتسربت إليهم دماء عربية أثرت في تعديل بعض صفاتهم الجسمانية مع تمسكهم بعاداتهم الأصلية ولغتهم البداوية.

## ثانياً الأصل العرقي للبجا:

أثبتت التجارب البحثية أن البحث في موضوع الأصل العرقي للشعوب أو حتى القبائل والمجموعات يتسم دائماً بصفة الجدلية وعدم الاتفاق بين العلماء والباحثين . و بالرغم من قناعتنا بعدم وجود اختلافات بيولوجية ذات قيمة بين البشر كما أثبتت الدراسات العلمية الحديثة ، لكننا نجد أنفسنا مضطرين لمجاراة الآخرين الذين لا يستطيعون الانفكاك عن استخدام مفهوم العرق بمعناه القديم الذي يعتقد بوجود أعراق راقية ونقية وأخرى أقل منها نقاءً. فالعلم الحديث أثبت أن كل البشرية ترجع لأصل واحد هو الإنسان العاقل ( Homo sapiens ) وأن جميع الأعراق التي تم تصنيفها أو تسميتها تشترك في حوالي 99.99% من الخصائص الجينية .

يعتمد علماء الأنتروبولوجيا اليوم ثلاثة أو أربعة أعراق رئيسة تم تصنيفها بالأساس على شكل الجمجمة ، وشكل الوجه وتفاصيله بخاصة الأنف والفكين والشفاه. تلك الأجناس هي:-

- القوقازي و موطنه أوروبا .

- المنغولي وموطنه آسيا .

3- الزنجي و موطنه إفريقيا. وأحياناً يضيفون جنساً رابعاً هو الأسترال لويد وموطنه أستراليا.

لم يتفق مؤرخو البجا المحدثون حول الأصل العرقي لشعب البجا الحديث . في دراسة كتبها أ. بول ( A. Paul ) نشرت في العام 1954 أورد الكاتب مقولة لمؤرخ مجهول من مؤرخي قبيلة الامرار البجاوية تقول إن البجا ينحدرون من كوش ابن حام ابن نوح وقد وصلوا للسودان بعد الطوفان الذي ضرب العالم المسكون في زمن سيدنا نوح عليه السلام . علق الأستاذ بول على هذه المقولة بقوله: إن هذا الرأي لا يمكن قبوله ، وأن غالبية العلماء متفقون أن البجا شعب حامى، وصلوا إلى وطنهم الحالي الواقع بين النيل والبحر الأحمر من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر في زمن بعيد قبيل وصول الاحتلال المصري للنوبة السفلى في العصر النيوليثي<sup>(12)</sup>.

جدير بلفت انتباه القارئ أن حام الذي أشار إليه مؤرخ الامرار كان ، بحسب سفر التكوين في الكتاب المقدس، رجلاً أسوداً ، والحاميون بحسب المفاهيم التوراتية هم شعب أسود توجهوا بعد الفيضان صوب القارة الإفريقية . أما الشعب الحامى الذي أشار إليه الأستاذ بول ( ومعه الشعب السامي ) فهو يعتبر، بحسب النظرية الأوربية المركزية ، فرع من العرق القوقازي. هذه النظرية المثيرة للجدل تجعل الحاميين ناقلي الحضارة الأوربية إلى شرق إفريقيا تحديداً.

فيما يتعلق بالصحراء الشرقية قال بول إن هجرة من الحاميين عبرت البحر الأحمر حوالى سنة 4000 سنة ق.م. واحتلت كل المنطقة بما في ذلك وادي النيل ، ومن هؤلاء انحدر البجا الحاليون. نسب بول للمهاجرين الحاميين الرسومات الصخرية التي تبين أنهم كانوا رعاة أبقار ؛ ووصف أسلحتهم والحيوانات التي كانوا يصطادونها. مستنداً على مجموعة أخرى من الرسومات

الصخرية أيضاً قال بول إن السكان الأوائل الأقدم للصحراء الشرقية لا ينتمون للبجا ، بل ينتمون لسلالة بدائية من الصيادين كانت تتسلح بأقواس كبيرة وكانت لهم معرفة بالحيوانات الوحشية مثل الأفيال والتماسيح والزراف ؛ رسوماتهم تبين ضعف مقدراتهم الفنية ، لكنه لم يذكر لأي عرق أو سلالة ينتمي هؤلاء السكان الأوائل. خلاصة نظرية بول إن البجا الحديثين يمثلون سلالة حامية غازية وصلت للمنطقة حوالي عام 4000 ق.م. قادمة من الجزيرة العربية .

أورد بول رأياً للخير سيلغمان بأن بجا النبي عامر هم الشُعبة الأقل تغيراً من غيرها من شعب البجا ، وأنهم الأقرب شهباً من حيث الصفات العرقية بقدماء المصريين في عصر ما قبل الأسرات (حوالي 4000 ق.م.). ومعلوم أن مصري ما قبل الأسرات قد نُسبوا لسلالة عرقية أطلق عليها مسمى العرق النبي أو سلالة شعوب البحر المتوسط ووصفت بأنها بنية ، لا بيضاء ولا سوداء كما أنها لم تتكون نتيجة لخلطة بين العرقين الأبيض والأسود بل هي أصلية<sup>(13)</sup> .

جدير بالذكر إن دراسة سيلغمان أجريت على مجموعة بيجاويين عاشوا في العقد الثاني من القرن الماضي ؛ بمعنى أنه يفصل بينهم وبين الزمن الذي عاش فيه قدماء البجا عشرات القرون من الزمان. برأينا أنه لا يجوز الاستدلال بهذه الدراسة في الاهتداء لأصول البجا القدماء لسبب بدهي وهو أنه لا شك قد حدث خلال هذه الفترة الطويلة كثير من التواهر والاختلاط بين شعب البجا وشعوب أخرى من أعراق مختلفة أقامت في الصحراء الشرقية عملت على تعديل تركيبتهم العرقية. نخلص إلى أن محاولة بول تصنيف البجا كحاميين بمنهج المركزية الأوروبية لا تبدو مقنعة ؛ والمهم أنه نظريته لم تجد القبول لا من مؤرخي البجا الوطنيين الذين كانت لهم آراء مختلفة ولا من كثير من الباحثين الغربيين .

المؤرخ البجاوي محمد صالح ضرار بعد أن أورد عشرات الآراء حول أصل البجا قال بها مؤرخون عرب أو يهود أو غربيين ، أو توصل إليها علماء أمتخصصون بعد دراستهم لهياكل من قبور ليجاويين ، خلص إلى أن البجا أمة سامية عربية<sup>(14)</sup> . الأستاذ كريستيد أورد أدلة إبيغرافية لرسام اسمه أمونيوس عاش خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين تبين أن البليميين كانوا شعباً أسود البشرة ذي ملامح زنجية ، أنوف قصيرة و شعر مجعد<sup>(15)</sup> ، وربما ما جاء في هذا المصدر هو الأقرب للصواب .

### أدوار البجا القدماء عبر الحقب التاريخية المصرية القديمة:

أولاً بجا المدجاي:

المدجاي من الأسرة السادسة إلى الأسرة العشرين:

### أ- عصر الدولة المصرية القديمة، تحديداً الأسرة السادسة:

تقول الخبيرة في اللغة المصرية القديمة مشو- كولمبو إن أصل الاسم مدجا يرجع للفظة مصرية م- دجاي (m-d3y)) التي تعني « العابرون » . والمنطقة المقصودة بالعبور هي المنطقة بين

النيل والبحر الأحمر والتي تتمثل في ما صار يعرف ب الصحراء الشرقية أو النوبية. هذه المنطقة كانت تمر عبرها ، وليس بالضرورة تقيم فيها إقامة دائمة ، العديد من الشعوب القديمة من أصول سامية أو حامية. وقد وصلتنا عبر نصوص مصرية أسماء بعض هذه الشعوب مثل النحسو والمدجاي والعامو والماقو واليونتايبو وربما آخرين ، تجمع بينهم جميعهم صفة البداوة . تضيف الكاتبة إن اللفظ مدجا ارتبط كذلك بالمعبودة المصرية « مدجا » إلهة المراكب ، ابنة الإله رع المذكورة في متون الأهرام <sup>(16)</sup> .

أقدم نص مصري ورد فيه لفظ مدجا هو نقش ملكي جاء من دهشور يعود تاريخه لعهد الملك مري رع بيبى الأول ، ثالث ملوك الأسرة المصرية السادسة (حكمت حوالي 2345 - 2181 ق.م.) . وجدت نقوش أخرى تركها خليفة بيبى الأول الملك مري ن رع في صخور الشلال الأول ذكرت أن الملك جاء بنفسه إلى هناك وقابل زعماء عدد من القبائل السودانية أو زعماء المشيخات أشار إليها باسمائها وهي واوات ، و إرجت ، ومدجا . وجاء في النقش إن زعماء ( بالمصري حقاو) هذه المناطق قدموا للملك المصري فروض الولاء والطاعة <sup>(17)</sup> . وجدنا المسمى « مدجا» في نقش آخر تركه حاكم مصر العليا ، المدعو وني الذي عمل أيضاً تحت الملك مري ن رع. ذكر وني أن القوة التي حارب بها بدو الصحراء كانت تحتوي على مجندين من « نحسو إرجت ، ونحسو مدجا ، ونحسو يام ونحسو كاعو ومن بلاد الطمياح .» في مكان آخر من النقش ذكر هذا الموظف أن الملك كلفه بعمل عدد من المراكب الكبيرة من خشب السنط الموجود في واوات لاستخدامها في نقل حجر الجرانيت السوداني إلى مصر. وقال وني إن زعماء (حقاو) واوات و إرجت و مدجا و يام شاركوا في عملية تجهيز الخشب . نكتفي بهذه الإشارات للموقع مدجا وأهله المدجاي ، لكن في واقع الأمر توجد مصادر إضافية من هذه الحقبة ومن حقبة الدولة الوسطى والحقبة التي تلتها يمكن الرجوع إليها <sup>(18)</sup> .

### استنتاجات و خلاصات:

الإشارات لمدجا أوللمدجاي في النصوص المذكورة أعلاه تمكننا من الوصول لبعض الاستنتاجات والخلاصات المهمة على رأسها إن معرفة مصريي الدولة القديمة بسكان الصحراء الشرقية كانت محدودة جداً حيث لا تتجاوز الفهم العام بأنهم بدو رعاة يتنقلون بحيواناتهم من مكان لآخر بحثاً عن المرعى والكأ . لكن المصريين لا يعرفون مراكزهم الداخلية كما يجهلون تقسيماتهم الإثنية وكذلك يجهلون نظمهم وعاداتهم بل ويجهلون حتى الاسم الذي تطلقه الجماعة على نفسها . ومعلوم أن البجا الحاليين أخذوا اسمهم هذا من العرب ، فهو لا أصل له في لغتهم ولا في تاريخهم المحلي. و جدير بالذكر أن مكان لقاء مصريي الأسرة السادسة بهذه الجماعة التي أسموها المدجاي كان بالقرب من الشلال الأول ؛ بعبارة أخرى المكان في وادي النيل وليس في الصحراء. والاسم الذي أطلقه المصريون عليهم يدل على أنهم بالنسبة للمصريين غرباء أو عابرون كما فصلنا في معنى اللفظة الأصلي ، وأن مواطنهم الأصلية بعيدة عن مرأى المصريين ، في داخل الصحراء . وعليه

فان الاسم مدجاي في هذه المرحلة كان اسماً مبهماً يشير لجماعة بدوية تمارس حياة رعوية في الصحراء. وعليه نعتقد إن وجود زعيم المدجا في وادي النيل كما ورد في سيرة حاكم مصر العليا وني ليس بالأمر المستغرب ، وربما كانت مسألة حضوره لمقابلة حاكم الصعيد وني قد تم الترتيب لها مسبقاً. لكن ليس هناك ما يشير إلى أن زعماء هذه البلاد السودانية ، سواء المدجا أو غيرها ( واوات ، إرجت إلخ ) كانوا خاضعين للحكومة المصرية في أي وقت خلال الدولة القديمة .

ب - فترة الاضمحلال الأولى (2181- 2050 ق.م.): بنهاية الأسرة السادسة دخلت البلاد المصرية في مرحلة من الضعف بسبب انعدام الوحدة المركزية وتسبب ذلك في اندلاع حروب أهلية بين الأمراء المتنافسين والمتصارعين على السلطة . هذه الحقبة عرفت باسم فترة الاضمحلال الأولى أو عصر الانتقال الأول وشملت الأسرات من السابعة إلى العاشرة . تشير المصادر إن الأمراء المتصارعين استخدموا في صراعاتهم ضد بعضهم البعض مقاتلين سودانيين أشاروا إليهم ب النحساو وتعني السود أو السمير. وربما شمل هذا اللفظ الغير محدد المدجا<sup>(19)</sup>. بعض التصاور التي وصلتنا تظهر مقاتلين مدجاي مع مقاتلين من إقليم واوات ، والأخير هو منطقة سودانية نيلية تحادد صعيد مصر.

### ج - عصر الدولة المصرية الوسطى: ( 1786 - 2050 ق.م.)

بدأت الإشارات للمدجاي تزداد في زمن الدولة الوسطى. فقد كثرت الإشارة إليهم في نصوص تُعرف ب « تقارير سمنة » وهي عبارة عن تقارير رسمية تؤرخ لجهود ملوك الأسرة الثانية عشرة بدءاً بسنوسرت الثالث وما بعده تعتبر هذه التقارير المصدر الأساسي لمعلوماتنا عن المدجاي في حقبة الدولة المصرية الوسطى .

قام ملوك الأسرة الثانية عشرة باحتلال إقليم النوبة السفلى الذي كانت تقطنه مجموعات سودانية تركت ثقافة مادية أسماها رجال الآثار ب ثقافة المجموعة ج . يقع هذا الإقليم بين الشلالين الأول والثاني. شيد ملوك مصر في هذه المنطقة ، على ضفتي النهر ، وفي جزره عددًا من القلاع الطينية الضخمة بهدف تحصينه ولتحقيق عمق إستراتيجي وأمني للدولة المصرية. ولقد تم عن طريق التنقيب اكتشاف أربعة عشرة قلعة . كما عُثر على بردية في مبنى الرامسيوم بالاقصر تذكر سبعة عشرة قلعة لكل واحدة منها اسمها الخاص بها. من الأسماء التي أسمى بها القلاع مثلاً قاهرة الخاستايو ، قاهرة المدجاي ، تلك التي تصد العانو وهكذا. تؤكد للعلماء أن القلاع المذكورة في البردية هي نفسها التي شيدت في أرض المجموعة ج. تتركز عشرة من القلاع في منطقة الشلال الثاني وتقع كلها، باستثناء قلعة كمة ، على الضفة الغربية لنهر النيل أو في الجزر. من أهم القلاع اثنتان في سمنة ( سمنة جنوب وسمنة شمال). من بين الأربعة المتبقيات توجد واحدة عند مدخل وادي العلاقي في الضفة الشرقية. من موقع القلعتين في سمنة ومن قلاع أخرى جاءت مجموعة من التقارير عن سكان الصحراء الشرقية . من بعد دراستها ونشرها أطلق عليها الباحث الناشر ، سميذر ، مسمى تقارير سمنة<sup>(20)</sup>.

تقارير سمينة إذاً عبارة عن كتابات رسمية كان يبعث بها مسئولون مصريون مقيمون في القلاع المصرية التي تم تشييدها في أرض أصحاب المجموعة ج في النوبة السفلى . كانت لموقع سمينة أهمية خاصة حيث جعله الملك سنوسرت الثالث الحد الجنوبي للدولة المصرية لا يسمح بتجاوزه للسودانيين القادمين من جهة الجنوب باستثناء السفراء والتجار القاصدين قلعة مرقسة. التقارير القادمة من القلاع كانت كلها موجهة لمسئول مصري رفيع مقيم في طيبة. تتحدث بعض تقارير سمينة عن تحركات جماعات سودانية ، بعضهم وصفوا ب النحسو وآخرون ب المدجاي. هذه الجماعات كانت تأتي لأغراض مختلفة من بينها عرض بضاعتهم ومقايضتها ببضائع سكان وادي النيل. نقرأ في بعض التقارير تفاصيل دقيقة عن تحركات هذه الجماعات ومحاولات المصريين تعقب آثارهم وآثار حيواناتهم.

من بين التقارير التي تتحدث عن المدجاي تقرير رفعه مسئول من قلعة إلفنتيني حكى فيه قصة رجلين من المدجاي وثلاثة من نسائهم حضروا للقلعة وقالوا إنهم يرغبون في الحصول على وظيفة مع المصريين. وقد اشتكوا للموظف المصري من سوء الأحوال في الصحراء وحالة الفقر التي يعيشون فيها. وقد قام المسئول المصري بالتحقيق معهم لمعرفة أصلهم . فسألهم من أين أتوا. فكان ردهم أنهم جاءوا من بئر إبحت . وملاحظتنا على الإجابة أنهم لم يقولوا إنهم أتوا من مدجا ، أو بلاد مدجا مما يعني أن الاسم المصري مدجا الذي يطلقه المصريون على بلادهم أمر لا يخصهم. هذه النتيجة أو الخلاصة تقبلها كثير من العلماء الذين قالوا إن الاسم مدجا في حقبة الدولة المصرية الوسطى تحديداً لم يكن مفيداً لتحديد منطقة جغرافية محددة تسكنها جماعة بقيادة زعيم أو حاكم يمكن أن تخاطبه السلطات المصرية وتطلب منه دفع الضرائب مثلاً. وثائق مصرية مختلفة تعود لهذه الحقبة ذاتها تبين أن الجهات التي يتم تحصيل ضرائب منها في الصحراء تتخذ أسماء محددة . كمثال الكتابات المعروفة ب نصوص الإبعاد (execration texts)) تذكر بلاداً معينة في الصحراء الشرقية مثل وبت - سبت ، أوشاك و إبحت ، كان زعماءها يحضرون بأنفسهم لتسليم ما عليهم من إتاوات للمسئولين المصريين<sup>(21)</sup> .

بعد اكتساح الملكين المصريين سنوسرت الأول والثالث أرض النوبة السفلى واحتلالها بدأت تغيرات تحدث على الصعيد الاجتماعي. فبعد فترة من المعيشة والتداخل والتعامل مع مصريي الدولة الوسطى ، وجدنا سكان الصحراء الشرقية يتقبلون تصنيف المصريين لهم بأنهم مدجاي. وقد عملت سياسة سنوسرت الثالث الإمبريالية على تحديد الفرق بين النحساو والمدجاي وذلك من خلال اللوح الذي نصبه في سمينة وحدد فيه حدود مصر الجنوبية في سمينة وأصدر فيه فرمانه الشهر بمنع أي نحسو من عبور سمينة إلا في حالات محددة. إن فرمان سمينة يعتبر من الناحية السياسية تمييزاً إيجابياً للمدجاي لأنه لم يمسهم بسوء.

أما بئر إبحت التي هي قطعاً بلدة أو قرية في الصحراء الشرقية ، فقد اختلف الكتاب في تحديد موقعها. الأستاذة مشو-0 كولومبو تعتقد إن إبحت هي أبيار وادي حمامات في الصحراء

الشرقية المصرية. من ناحية أخرى تعتقد الكاتبة ليزسكا وآخرون أن إبحت تقع في وادي العلاقي في الصحراء الشرقية السودانية على بعد حوالي 200 كلم شمال- شرق قلعة مرقسة .

بالعودة لتقرير مسئول قلعة إلفنتيني ، لسؤ حظ القادمين من بئر إبحت ، رفض المصريون توظيفهم وطلبوا منهم العودة من حيث أتوا. لكن هذه المحاولات لطلب العمل مع المصريين تكررت حتى أفلح المدجاي أخيراً في الحصول على ما يبتغون ، فاستخدمهم المصريون في وظائف كان المدجاي يجيدونها مثل وظيفة دليل القوافل الصحراوية ، ووظيفة عساكر مقاتلين أو عساكر شرطة أو حتى في التعدين عن الأحجار الكريمة في الصحراء شرق أسوان في وادي الهدي. هذا عن رجال المدجاي ، فماذا نعرف عن نسايمهم ؟

تفيد مصادر من عهد الملك منتوحوتب الثاني ( توفي حوالي 2010 ق. م ) خامس ملوك الأسرة الحادية عشرة ، أن زوجته المسماة أشايت كانت تحتفظ بثلاث و صيفات من نساء المدجاي، وعليه نعتقد أن وظيفة الوصيصة أو خادمة المنازل ربما كانت من الأعمال التي مارستها نساء المدجاي في المدن المصرية .

#### **د. فترة الاضمحلال الثانية: وتتكون من الأسرات 13 إلى 17. (1786- 1552 ق.م.)**

في زمن الأسرة 13 وصل وفد من المدجاي إلى مصر من جهة تسمى أوشاك أو أوشيك لمقابلة ملك مصر. بعض الباحثين يعتقد بأن أوشاك هذه مملكة من ممالك المدجاي وتقع في الصحراء الشرقية. ماذا نستنتج إذا صحت هذه النظرية ؟ هل يعني ذلك أن سكان الصحراء كانوا منظمين في شكل ممالك وإمارات في ذلك الوقت البعيد؟ من الجائز جداً ، اعتماداً على روايات كلاسيكية تحدثت عن بجا الترقلوديت أن القبائل كان لها زعماء يتميزون عن الرعايا ببعض المزايا. سنفصل في هذا الموضوع عند تناولنا قبيلة الترووقوديتيفيمكانآخر من هذا البحث. تتوفر معلومات جيدة عن علاقة المدجاي بأمراء الأسرة 17. فقد ابتدر الأمير سكنن رع تاو الثاني والد الأمير كاموسي (حكم حوالي سنة 1550 ق.م.) ابتدر حرب التحرير ضد المحتل الهكسوسي. وتبين المصادر أن كاموسي استخدم المدجاي الذين اشتهروا خلال الفترة السابقة بإجادتهم لمهنتين ؛ الأولى مهنة مقاتلين مشاة في مقدمة الجيوش . فالمعروف عنهم أنهم تخصصوا في الأسلحة الخفيفة مثل القوس والسهم ، وفي الوقت ذاته عرفوا ببراعتهم وحبهم لقتال المواجهة لدرجة الاشتباك بالأيدي. المهنة الثانية هي المهارة كأدلاء للحملات و للمبعوثين في الصحاري والواحات .

عقب كاموسي على العرش أخوه أحموسي ( 1550- 1070 ق.م.) مؤسس الأسرة الثامنة عشرة. تذكر المصادر أن المدجاي شاركوا في جيش أحموسي الذي اضطلع بمهمة مهاجمة أواريس عاصمة الهكسوس. بعد أن تم طرد الهكسوس تم استيعاب المدجاي في وظائف الشرطة والكشافة. بعد نهاية الحرب بطرد الهكسوس خارج مصر صار المدجاي بمثابة العمود الفقري للجيش والشرطة المصرية. ووصل بعض قادتهم لمناصب رفيعة جداً في الحكومة المصرية.

**هـ. عصر الدولة الحديثة : (1567- 1085 ق.م. تتكون من الأسرات 18، 19 و 20).**

بعد قيام الدولة الحديثة ارتبط المدجاي ارتباطاً وثيقاً بالعسكرية وأصبحوا من النخب العسكرية ، كما ابتعد المسمى مدجاي عن المفهوم الإثني الذي ساد خلال الفترات السابقة . وبالتدرج أصبح لفظ مدجاي مرادفاً للفظه عسكري أوشراطي. تبين مصادر الدولة الحديثة إن المناطق التي انتشر فيها المدجاي تقع في الصحراء شرقي مدينة ققط وأسوان و وادي الهدي . لكن أشارت مصادر أخرى من عهد تحوتمس الرابع لوجودهم في منطقة شرق الدلتا ، وقد ذكرت ثلاثة مواقع هي: تجارو (Tjaru) و تجيكو ( Tjekw ) و سراييت الخديم . إضافة للعمل العسكري كمقاتلين ، كانت السلطات المصرية تكلف رجال المدجاي بمهام رجال الشرطة مثل حراسة المناطق المهمة في المدن الكبيرة كالجبانات الملكية في وادي الملوك بالأقصر . من ناحية أخرى كان يتم تكليفهم بحراسة المناطق الحدودية للدولة المصرية كحرس حدود . أيضاً تم استخدامهم كمعدنين ، وبنائين ، وسائقي مركبات ومبعوثين يحملون رسائل المسؤولين إلى أماكن مختلفة ، داخل و خارج مصر ، أو أدلاء للقوافل والفرق العسكرية والحملات كما كان سابقاً . في عهود الرعامسة الأواخر لوحظ استخدام المدجاي في فلاحه الأرض وزراعتها<sup>(22)</sup>.

كان لكل فرقة منهم قائد يتخذ اللقب المصري وور (Mdj3(wr) لكن من الممكن أن يرتقي أحدهم لمرتبة أعلى لا تعطى في العادة للأجانب وهي مرتبة حري (Mdj3hry) . هل ذهب المصريون لأرض البجا الداخليين لأي غرض؟ هل كان لهم تأثير ثقافي على البجا؟.

في زمن الدولة الحديثة اهتم فراعنة مصر بالذهب الذي تعتبر بلاد البجا من أهم مصادره. فكانت الحملات تخرج بأمر الملوك للتعدين عن الذهب ، لكن لم تتوفر لدينا معلومات عن أثر تلك الحملات على سكان المنطقة. المصادر المصرية تتحدث دوماً عن تهينة المنطقة وحفر الآبار للحصول على المياه وبناء تحصينات وتأمين المنطقة التي يعملون فيها بشكل عام.

خلاصات:منذ الدولة الوسطى بدأت معرفة المصريين بالمدجاي تتحسن تدريجياً ولكن ليس للدرجة التي تخصوص في تفاصيل الحياة في الصحراء . فقد كان جل اهتمام حكوماتهم يتركز على تحصيل الجبايات والإتاوات من مراكز المدجاي القريبة من طيبة وأسوان ، أو إرسال الحملات للتعدين عن الذهب والحجارة الكريمة في الصحراء الشرقية المصرية. من جانب آخر وصلتنا معلومات متفرقة عن المدجاي في المصادر المصرية ارتبطت إما بالأفراد من المدجاي الذين نزحوا للمدن المصرية خاصة في جنوب مصر واندمجوا في حياة المدن ، أو بالمجموعات التي كانت تصل للمواقع النيلية لأسباب متفرقة . فمعلوم أن مجموعات صغيرة منهم اعتادت النزوح للنيل في موسم الجفاف. وقد أوضحنا في مقدمة هذا البحث أن مواطن البجا الحاليين واسعة وممتدة ؛ فهي تشمل كل الصحراء الشرقية الواقعة بين النيل والساحل الغربي للبحر الأحمر . وتنتشر مواقعهم الشمالية شرقي الضفة الشرقية لوادي النيل المصري بمحاذاة قنا وققط والأقصر وأسوان

ويمكن أن نطلق على هذا الجزء الشمالي مسمى الصحراء الشرقية المصرية .بقية البجا الشماليين ينتشرون في الصحراء الشرقية السودانية . أما مواطنهم الجنوبية فتقع في ديار النبي عامر شرقي دلتا القاش . ولا شك أن هذه المنطقة ذاتها سكنها شعب المدجاي المذكور في النصوص المصرية من هذه الفترة . لكن تؤكد الشواهد التاريخية أن جماعات منهم كانوا يأتون للمواقع النيلية إما لأغراض سلمية مثل مفاوضة بضائعهم ببضائع أهل النيل أو للبحث عن عمل. وربما قصدوا النيل لأغراض غير سلمية كالتهب والإغارة وهذه تحدث في الغالب في مواسم الجفاف وشح القوت في الصحراء .

منذ فترة الاضمحلال الثانية وحتى نهاية الدولة الحديثة نجح المدجاي في الحصول على وظائف ملائمة في مؤسسات الحكومة المصرية. وكل المصادر المتوفرة من هذه الفترة تقريباً تتعلق بهذه المجموعات التي نزحت للنيل. أما بجا الداخل فلا اثر لهم في مصادر مصر الفرعونية.

اختفاء الاسم مدجاي: اختفى المسمى مدجاي بعد نهاية الدولة الحديثة ولم يجد الباحثون تفسيراً لهذه الظاهرة . من التفسيرات المقترحة أن السبب ربما كان توقف الوضع الوظيفي أو الأعمال التي كانت متاحة للمدجاي . لكن رصد العلماء وجود اسم قريب الشبه بالاسم مدجاي كُتب في حالتين « مدد» وفي حالة ثالثة « مدي» في بعض الوثائق النبتية المكتوبة بالمكتوبة باللغة المصرية. مثلاً نقرأ في السطر 46 من النقش المعروف ب كوة 9 ، وهو من أعمال الملك النبتي أماني نتي يركي ( حكم حوالي 431- 405 ق.م. ) عن هجوم قبائل تسمى مدد على بلدة كرتن في نواحي جبل البركل. تكرر الاسم في نقش تركه الملك النبتي حرسيو تفت ( حكم حوالي 404- 393 ق.م. ) حيث جاءت إشارة لمعارك خاضها الملك في السنوات الثالثة والخامسة والسادسة من عهده ضد المدد ، وقد انتهت بانتصار الملك وقتل زعيم المدد ساواراجا . كذلك وردت إشارة إلى قبائل تسمى « مدي» في نقش الملك النبتي ناستاسن كانت في ذات السياق التقليدي المتعلق بصد هجمات القبائل البدوية التي تقطن الصحراوات المتاخمة لمملكة كوش. أغار المدي على معبد الكوة وسرقوا بعض التماثيل التي كان قد أهداها للمعبد الملك أسبلتا. وكذلك هاجموا معبد الإلهة باستت التي في توري ( سطر 65). وقد حاربهم الملك وانتصر عليهم وعلى كل الأعداء بفضل آمون<sup>(23)</sup> .

في الفترات اللاحقة من تاريخ مصر (مصر البطلمية والرومانية ) ظهر سكان الصحراء الشرقية في المصادر المصرية الديموطيقية باسم بلهمو أو برهمو ( Blhmw or Brhmo ) . وفي المصادر الإغريقية واللاتينية ظهر اسم البليميون . Blemmyes وهو المرادف للفظة المصرية. لكن قبل الانتقال للحديث عن البليميين نقدم للقارئ نبذة مختصرة عن ثقافة المدجاي المادية.

### ثقافة المدجاي المادية:

في العام 1901 اكتشف عالم الآثار الإنجليزي فلنדרز بتري ( Petrie ) جبانة صغيرة بموقع يسمى « الهو » بجنوب مصر. تميزت هذه الجبانة بقبورها الفطحاء الدائرية التي تشبه الطوة

(pan) وفي الحال وبسبب هذا الشبه أطلق بتري على هذه القبور ومحتوياتها اسم ثقافة البان قريف. ( Pan- graveCulture ).

أ. ثقافة البان قريف: القبر، كما أسلفنا الذكر، كان عبارة عن حفرة دائرية فطحاء. بعد أن تلف بكفن من القماش أو الجلد توضع الجثة داخل هذه الحفرة في وضع القرفصاء على جانبها الأيمن. بعد الدفن يغطى سطح القبر بكومة من الحصى. تحيط بالكومة دائرة من الحجارة أو الطوب اللبن.

إضافة للجثة يحتوي القبر على بعض المتاع والقرايين أبرزها الفخار. أهم أنواع الفخار سلطانيات حمراء أو بنية مصقولة ذات حواف سوداء. هذا النوع من الفخار الأحمر أو البني المصقول ذو الحواف السوداء عُرف في ثقافة المجموعة أ السودانية ( 3800 - 2800 ق.م. ) ، وفي ثقافة المجموعة ج ( 2200 - 1500 ق.م. ) وفي ثقافة كرمة ( 2500 - 1450 ق.م. ) مع بعض الاختلافات الطفيفة. وكذلك عُرف هذا النوع من الفخار في ثقفتي العمري والبداري المصريتين.

من ناحية أخرى وجد في ثقافة البان قريف فخار مماثل للذي سبق وصفه لكنه غير مصقول كان يزخرف أحياناً بزخرفة خطوط مائلة.

من من محتويات القبور الأخرى جماجم أبقار وماعز كانت تدفن مع الميت ، إضافة لأنواع من الأسلحة والحلي وأدوات الزينة .

هذه المكونات من المعثورات تم العثور على نماذج منها لاحقاً بواسطة بعثات تنقيب مختلفة ، وفي مواقع مختلفة أيضاً في جنوب مصر ( مستجدة ، أييدوس ، إدفو و بلايش ، إفتيني ) و في النوبة السفلى على ضفتي النيل بالقرب من القلاع المصرية مثل قلعة صرة شرق و قلعة مرقسة. في أماكن أخرى وجدت قبور البان قريف مختلطة بقبور المجموعة ج ، و كذلك بقبور الكرميين كما في أدندان و سيالة. موقع آخر تكثر فيه قبور البان قريف هو أطراف الصحراء الشرقية وبخاصة عند مداخل الوديان مثل وادي العلاقي. في الخمسينات من القرن الماضي عثر أركل على كسرات من فخار البان قريف في أركويت وأخرى بالقرب من خور أربعاء بولاية البحر الأحمر. وقد طرح علماء الآثار السؤال المشروع: من هم أصحاب هذه القبور ؟.

اقترح عدد من العلماء أنها تعود لرجال المدجاي النيلييين الذين كانوا يعملون في خدمة الحكومة المصرية منذ زمن الدولة الوسطى مروراً بفترة الهكسوس و فترة الانتقال الثانية وحتى نهاية الدولة الحديثة ( أي خلال الفترة 2000 ق.م. إلى 1500 ق.م. ) وقد وجد هذا الاقتراح قبولاً من كثير من العلماء . وقد تم فحص هياكل لبعض المدفونين وجاءت النتيجة لتؤكد أنهم شعب متزنج ( negroid ) واللفظة تشير إلى اختلاط خصائص زنجية بأخرى قوقازية <sup>(24)</sup> .

من الملاحظ أن المدجاي النيلييين بدأوا في التخلي عن ثقافتهم المادية بالتدريج منذ بدايات الأسرة 18 وأخذوا في تبني سمات عديدة من الحضارة المصرية التي بدأت تؤثر في بعض فئات من سكان النوبة السفلى على حد سواء. جدير بالملاحظة أيضاً أن المدجاي النيلييين كانوا يتخذون أسماءً مصرية .

## ب. ثقافة جبل مكرام في ولاية كسلا بشرق السودان:

عثرت تنقيبات قامت بها بعثة إيطالية في كسلا، منطقة جبل مكرام، على فخار مشابهه لفخار مدجاي النيل خاصة من حيث الزخرفة و معالجة السطح. ويعتقد المكتشفون أن الثقافة تمثل هجرة مدجاي نيليين وصلت إلى كسلا في زمن الدولة المصرية الحديثة بعد أن هجر المدجاي النيليون أوطانهم النيلية. وهكذا تؤكد الاكتشافات الأثرية على وجود المدجاي في كل ولايات شرق السودان.

### لغة المدجاي:

تشير شواهد لغوية توصل إليها عالم اللغات براون من دراسته للنصوص المصرية المعروفة ب نصوص الإبعاد، توصل إلى أن المدجاي تحدثوا لغة تنتمي لعائلة اللغات الكوشية (Cushitic) وهي العائلة اللغوية التي تنتمي إليها لغة البجا الحديثين المعروفة بالتداوية<sup>(25)</sup>.

### ثانياً البجا البليميون:

منذ أواخر الأسرة 20 المصرية ظهر سكان الصحراء الشرقية في الكتابات بمختلف لغاتها بمسميات جديدة ليس من بينها اسم المدجاي الذي اختفى تماماً عن المصادر. لكن الأسماء التي كانت الأكثر ذكراً وظهوراً في المصادر هي: البليميون، الميقاباروي والتروقوديت. سنتناول القبائل الثلاثة كل على حدا ونبدأ بالبجا البليميون.

### أ. البليميون في مصادر مصرية سابقة للحقبة البطلمية:

تم رصد حالتين ذكرت البليمين؛ الأولى بردية تعود لزمن الملك رمسيس الحادي عشر آخر ملوك الأسرة العشرين (حكم حوالي 1099-1069 ق.م.) تحتوي على قوائم لأسماء أماكن جغرافية وشعوب أجنبية كان من بينها اسم قرأه قاردنر، الخبير في اللغة المصرية، مبدئياً برهس. لكنه علق بعدم وضوح الحرف الأخير. وقتها لم يقترح قاردنر ربط الاسم بالبليمين لكن علماء آخرين اقترحوا أن اللفظة تشير للبليمين. فريق آخر من الباحثين رفض الفكرة بسبب عدم احتواء الاسم على حرف الميم الذي يعتبرونه جزءاً مهماً من الاسم كما يبين رسمه في الكتابات اللاحقة سواء إغريقية أو لاتينية أو قبطية<sup>(26)</sup>.

الحالة الثانية رصدت في النقش كوة 8 وهو من أعمال الملك النبتي أنلماني (623-593 ق.م.). تحدث كوة 8 عن حملة عسكرية أرسلها أنلماني ضد جماعة تسمى بلهاو أو برهاو، أعملت فيهم قتلاً وأسراً؛ لا شك أن الحملة هي رد على عمل عدائي قامت به الجماعة. ومن بعد هزيمتهم استخدم النبتيون أسراهم خدماً للمعابد<sup>(27)</sup>. هناك بعض الباحثين من ارتأى ربط بلهاو أنلماني بالبليمين معتقدين كتابة خاطئة أسقطت حرف الميم حيث أنه لم يتم رصد لهذا الشكل الخالي من حرف الميم في المصادر الأخرى.

## ب. البليميون في المصادر البطلمية:

حكمت الأسرة البطلمية مصر بعد وفاة الإسكندر الأكبر بفترة قصيرة. ولفظة بطلمية تعود للجنرال بطليموس الأول سوتير ( 305- 282 ق.م.) مؤسس الأسرة . وقد اتخذ كل خلفاء بطليموس سوتير وعددهم ثلاثة عشرة ، اتخذوا لقب بطليموس Ptolemy مع إضافة لاحقة تميز كل واحد منهم . آخر حكام البطالمة في مصر كانت امرأة وهي الملكة الشهيرة كليوباترة السابعة التي انتحرت عقب هزيمتها في معركة أكتيوم ضد قائد الجيش الروماني أوكتافيوس ، الذي أصبح لاحقاً الإمبراطور أغسطس ، في سنة 30 ق.م. تزامن حكم البطالمة في مصر ( 305- 30 ق.م. ) مع الفترة المتقدمة من مملكة مروى. وقد توفرت للباحثين مادة لا بأس بها عن نشاط ملوك البطالمة و كذلك عن نشاط الرحالة الإغريق في السودان خلال هذه الفترة.

عن علاقة البليميين بمصر البطلمية وصلتنا برديات من العصر البطلمي المتوسط تبين استقرار أفراد منهم في بعض المدن المصرية الجنوبية مثل إدفو والجبلين ؛ فتحدثنا عن أفراد بليميين ولدوا بمصر يحملون أسماءً مصرية ويتزوجون بنساء مصرية أو يستأجرون أراضي زراعية . وسنقدم فيما يلي بعض الأمثلة ؛ البردية هاوسفالدت 6 (Hausvaldt vi) المؤرخة لسنة 219-220 ق.م.) هي عبارة عن وثيقة زواج رسمية بين الرجل خارميس ، الذي وصف بأنه بليمي مولود بمصر ، وبين المصرية تايسي . مصدر البردية إدفو في صعيد مصر. البردية برقم المتحف البريطاني 10516 هي عقد إيجار أرض زراعية من المدعو « كلا » المؤجر للمستأجر « تيخنوميس » الذي وصف بأنه بليمي ولد بمصر. بردية أخرى من مقتنيات المتحف البريطاني ( بالرقم B.M. 10510. ) عبارة عن وثيقة زواج بين الرجل البلمي خاربوس والمصرية تاريسيس. وقد أبرم العقد في السنة الرابعة والعشرين من عهد بطليموس السادس ( أي سنة 152 ق.م. ) . كلا البرديتين تم العثور عليهما في الجبلين بجنوب مصر<sup>(28)</sup>.

الأهمية التاريخية لهذه المصادر المصرية الجنوبية هي برهنتها على استقرار جماعة من البليميين في مدن مصرية واندماجهم في الحياة المدنية المستقرة بالزواج وفلاحة الأرض. هذه البرديات تفند آراء مناهضة تعتقد أن البليميين لم يعرفوا أبداً الحياة المستقرة في المدن أو القرى الزراعية. إن العثور على هذه البرديات المذكورة أعلاه قد تم عن طريق الصدفة وربما فقدت عشرات الأدلة من هذا النوع. إننا نعتقد إن خيار مجموعات من البليميين للاستقرار في مواقع نيلية ربما حدث في مواقع في النوبة السفلى كذلك. بالرغم من شح المصادر عن الأحوال في النوبة السفلى خلال الفترة البطلمية إلا أن هذا الأمر لا يمكن استبعاده بخاصة إذا تمعنا في بعض المؤشرات التي سنقدمها في الفقرات التالية .

## ج. مصادر الحقبة الكوشية المروية المبكرة:

أشرنا في مكان سابق لمؤشرات تشير بوجود جماعات نيلية من البليميين استقرت في بعض

المدن والقرى السودانية ( مثل ما استقر أقرباء لهم في جنوب مصر). في الصفحات التالية يتم شرح هذه المؤشرات. تأتي في مقدمتها رواية المؤرخ الإغريقي إراتوستينس ( 275- 195 ق.م) ذلك الموسوعي الضليع الذي كان أميناً لمكتبة الإسكندرية في عهد بطليموس الثالث. في رواية له أثبتها المؤرخ سترابو لاحقاً قال إراتوستينس إن المقاباروي والبليمين قبائل تسكن المنطقة على طول النيل مجاورين لمصر، بينما يعيش التروفوديت في منطقة الساحل:

« إلى الشمال ، على جانبي مروى يعيش على طول النيل وباتجاه البحر الأحمر الميقاباروي والبليميون وهم يخضعون لإثيوبيا ( أي مملكة مروى) لكنهم مجاورين للمصريين. وعلى ساحل البحر يعيش التروفوديت. وهناك مسافة رحلة 01 إلى 21 يوماً بين التروفوديت المقابلين لمروى وبين النيل. (29) .

إن وصف أوطان البجا البليميين في هذه الرواية واضح كل الوضوح ؛ فهي تبدأ من ضفاف النيل الشرقية جنوب مصر وتمتد شرقاً باتجاه البحر الأحمر. في الوقت نفسه أكدت الرواية مجاورة البليميين للمصريين ، وبذلك يتحدد وجودهم النيلي في المنطقة المتاخمة لمصر المعروفة في المصادر البطلمية ب « دودي كاسخوينوس» والتي تقع بين أسوان والمحرقه. أهم المواقع السكنية في هذه المنطقة هي جزيرة فيلة ، دابود ، كلابشة ، الدكة. في الوقت نفسه أشارت الرواية لتبعية البليميين والميقاباروي لحكومة مروى ( إثيوبيا).

مؤشر آخر في غاية الأهمية هو اتجاه ملوك البطالمة ، ابتداءً من بطليموس الرابع ، للتوسع في النوبة السفلى وبخاصة في دودي كاسخوينوس ، حيث قام الأخير بتشييد معبد صغير من الحجر الرملي لعبادة المعبود تحوت بنوبس في الدكة. هذا المعبود ، كما يظهر من اسمه ( تحوت بنوبس ) من المعبودات المحلية الأمر الذي يشي بأن الخطوة سياسية قصد بها استمالة السكان المحليين . من ناحية أخرى نعتقد إن اختيار الدكة لم يأت مصادفة ، فالموقع يحتوي على مساحة مقدره من الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة. هذان العاملان ، المعبد والأرض الزراعية ، سيعملان حتماً على جذب السكان . بالرغم من أن موقع مدينة الدكة على الضفة الغربية ، إلا أنها تقع في مقابلة وادي العلاقي الموجود في صحراء البجا. فهي إذاً ليست بعيدة عن أرض المناجم. بل أن هناك أدلة كتابية وآثارية تفيد بأن البطالمة قد استغلوا ذهب الصحراء الشرقية وإن لم ترتبط هذه الأدلة بملك معين . من الأدلة الكتابية رواية ديودور الصقلي عن أقاثرخيدس. تصف الرواية مواقع المناجم و الطرق المستخدمة في استخراج الذهب والقسوة المصاحبة تجاه من يعملون في استخراجها<sup>(30)</sup> .

من الأدلة الآثارية التي تشير لوجود الإغريق في الصحراء الشرقية نتائج تنقيبات بعثة إيطالية أجريت في موقع يسمى دريهيب يقع على طريق وادي العلاقي في نهاية الثمانينات من القرن الماضي . تقع دريهيب على طريق وادي العلاقي وتعتبر المنجم الأكبر في منظومة مناجم الصحراء الشرقية ؛ عثرت البعثة على مبان وآثار وتحف و عملات بطلمية<sup>(31)</sup> . ويعتقد قائد البعثة

كاستيقيليون ومجموعته من الخبراء الذين نفذوا التنقيبات إن دريهيب هي بالتأكيد بيرينيس بانخري سوس (Berenice Panchrysos)) التي ذكرها بليني الأكبر في سفره التاريخ الطبيعي ، الجزء السادس ص 170. وتشمل الآثار التي تم العثور عليها في الموقع قلعتين ضخمتين ومجموعة منازل وأشياء أخرى ذات أصل غريكو- روماني . إن بناء قلاع ضخمة في الموقع لا شك يشير بحرص الحكومة البطلمية على حماية المعدنين ومن رافقهم من الإداريين والعسكريين من اعتداءات محتملة من الأهالي.

من ملوك البطالمة الذين أبدوا اهتماماً كبيراً بالنوبة السفلى بطليموس السادس. قام هذا الملك في حوالي سنة 172- 170 ق.م. بعمل إضافات وإصلاحات في معبد إيزيس بدابود كما توسع لاحقاً بشكل كبير في المنطقة جنوب المحرقة ( أرض الثلاثين شويني) مدعياً تشييد مدينتين، أسماهما فيلوموتوريس و كليوباترا. وكنتيجة لهذا الحراك ازداد عدد السكان في المنطقة زيادة ملحوظة ، يدل على ذلك الجبانة الضخمة التي اكتشفها فيرث في الدكة عام 1912 والتي يمكن إرجاع تاريخها ، لعهد بطليموس السادس. الملك بطليموس السابع هو الآخر قام ببعض الأعمال الإنشائية في الدكة ؛ وكذلك بطليموس العاشر ( أو ربما الخامس) شيد في كلابشة معبداً صغيراً للمعبود مانديوليس الذي ارتبط ، في فترة لاحقة ، بالبليميين باعتباره معبودهم الرئيس<sup>(32)</sup> .

#### د. البليميون في النوبة السفلى خلال الحقبة المروية المتأخرة :

نقصد بالحقبة المروية المتأخرة القرون الثلاثة الأخيرة من عمر مملكة مروى والتي ، بشئ من التجاوز، يمكن القول إنها تزامنت مع ظهور ولاية مصر الرومانية التي تم ضمها للإمبراطورية الرومانية عام 31 ق.م. بواسطة القائد الروماني أوكتافيوس بعد هزيمته لقوات كليوباترا السابعة آخر حكام البطالمة. قبل الدخول في التفاصيل عن وجود البليميين كمستقرين في النوبة السفلى ، وقبل عرض الطرح عن فرضية قيامهم بأدوار سياسية مهمة ، لا بد من توضيح و شرح للفهم المتواتر الغير دقيق الذي يصف سكان النوبة السفلى خلال هذه الفترة بأنهم مرويون . إن وصفهم بالمرويين صحيح من وجهة نظر ثقافية لأننا يمكن أن نطبقه على الحضارة المادية واللغة المكتوبة ؛ لكنه يبقى وصفاً قاصراً لأنه لا ينظر في زوايا أخرى مهمة مثل المكون العرقي و القبلي للسكان ، ومثل حتمية وجود لهجات أو لغات عديدة تتحدث بها إثنيات أخرى غير الإثنية المروية. ولا بد من التذكير هنا أن جدلاً كبيراً قد أثير حول السؤال : من أين أتى السكان الذين عمروا الجزء الشمالي من النوبة السفلى منذ عصر بطليموس الرابع ، ومروراً بعهود ولاة مصر الرومانية والنوبة المروية . وكذلك السؤال الآخر وهو: ما أصل الفخار الذي بدأ ينتشر في إقليم النوبة السفلى منذ حوالي نهاية القرن الأخير قبل الميلاد في قصر إبريم وفرص و كرونغ وغيرها من المواقع جنوب المحرقة والذي صرنا نطلق عليه مسمى الفخار المروي؟

لقد طُرحت كل الاحتمالات المتوقعة للأوطان الأصلية لهؤلاء المستوطنين الجدد وهي؛ جهة الجنوب نواحي دنقلا وكرمة ، أو الغرب ناحية وادي هور، أو الشرق نواحي الصحراء الشرقية. كما

طرحت فرضية تقول إن المستوطنين كانوا خلطة من كل هذه المناطق . وحتى صعيدة مصر لم يستبعدوا من أن يكونوا جزءاً من الخلطة التي تكونت. ونعتقد أنه من الحكمة أن نتقبل هذه الخلاصة ولا نستثني جماعة أو إثنية محددة لأي سبب من الأسباب. فإذا قبلنا بذلك يكون البليميون مكون أصيل من مكونات سكان النوبة السفلى منذ بداية إعمارها. كيف ؟

سنورد بعض الأدلة والحجج التي تجيب على هذا السؤال ؛ أهمها برأينا رواية المؤرخ سترابو ، المؤرخ الروماني الثقة و شاهد العيان لأحداث نشاط والي مصر بترونيوس في شمال السودان وبخاصة حملته التي جردها ضد المروريين رداً على هجومهم المفاجئ على الحاميات الرومانية في أسوان وفيلة وإلفنتيني . ربما كتب سترابو روايته هذه حوالي سنة 25 ق.م. تجري رواية سترابو على النحو التالي: « يوجد إلى الجنوب ( من مصر) التروقلوديت ، البليميون ، النوباي والميقاباروي، أولئك الإثيوبيون جنوب أسوان؛ إنهم بدو ، قليلون ، وغير مولعين بالحرب بالرغم من اعتقاد العلماء بغير ذلك لأنهم كانوا يعتدون على العزل...»<sup>(33)</sup>.

الرواية تفيد بوجود أربع من القبائل السودانية الرعوية جنوب أسوان من بينها البليميون. من الجائز جداً ، بل من المؤكد ، أن لهذه القبائل أصول و بطون و فروع بدواخل البلاد سواء من جهة الشرق في حالة البليميين ، الميقاباروي والتروقلوديت ، أو من جهة الغرب أو الجنوب في حالة النوبة . لكن فرضية نزوح بعض من هذه الجماعات للقري والمعسكرات الرومانية على جانبي النيل هو أمر لا يمكن استبعاده ، بخاصة إذا كانت هناك حوجة لخدماتهم . فإذا نزحوا للنيل ربما يطيب لهم المقام على ضفاف النهر، وينخرطوا في أنشطة سكان الوادي من زراعة وفلاحة وتجارة وحرف وغيرها. والتاريخ البعيد والقريب يشهد بحدوث مثل هذه الحالات التي تبين كيف قلبت جماعات من البدو سلوكهم الحياتي من ترحال لاستقرار.

إن وصول الرومان لإقليم دودي كاسخوينوس وتشبيدهم ما يقارب العشر معسكرات على ضفتي النيل بين أسوان والمحرقه لا شك شكل واقعاً جديداً في تاريخ الإقليم . ونلاحظ تزامن وصول الرومان مع وصول المروريين التدريجي للمنطقة جنوب المحرقه خلال القرن الأخير ق.م. كل ذلك ، إضافة لإدخال الساقية ، عمل على إنعاش إقليم النوبة السفلى بصورة لم يسبق لها مثيل. من ناحية الرومان ، عملوا على بناء معابد جديدة للآلهة المحلية لاستمالة الأهالي للإقامة والاستقرار وهجر الحياة الرعوية. من أهم المعابد التي بناها الرومان معبد كبير للمعبود مانديوليس بمدينة كلابشة ( هذا بخلاف المعبد الصغير القديم) الذي بناه الإمبراطور أغسطس . ومانديوليس كما هو معلوم يعتبر الإله الرئيس للبليميين.

أليس من الجائز أن يكون بناء هذا المعبد مقصود به استمالة البليميين للاستقرار والتخلي عن عاداتهم من سلب ونهب المسافرين أو مهاجمة القرى الآمنة ؟

بعد الصلح الذي تم التوصل إليه في ساموس عام 22 ق.م. بين مناديب الكنداكه المرورية والإمبراطور أغسطس ساد الهدوء والسلام إقليم النوبة السفلى بجزئيه الروماني والمروي . استمر

الحال كذلك حتى عهد الإمبراطور بروبوس ( 276- 282 م). نقرأ في سيرة هذا الإمبراطور أنه أخضع البليميين وأرسل أسراهم إلى روما. وأنه كذلك حرر مدينتي قفط و بطلمية في صعيد مصر من قبضة البليميين<sup>(34)</sup>. ما أصل أو موطن هؤلاء البليميين؟ لقد درج الباحثون والكتاب بشكل عام على ربط الهجمات البليمية على السكان الحضري سواء في جنوب مصر أو في إقليم دودي كاسخوينوس، درجوا على ربطها بالبليميين البدو سكان الصحراء الشرقية. لكننا لا نستبعد أن يكون المعتدون على المدينتين المصريتين من البليميين الذين استقروا في دودي كاسخوينوس.

### هـ. البليميون في إقليم دودي كاسخوينوس خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين (فرضية):

المصادر التي تتحدث عن الأحوال في النوبة السفلى خلال هذين القرنين شحيحة للغاية. فيما يتعلق بالقرن الثالث توجد إشارات متفرقة في مصادر رومانية تتحدث عن أدوار يقوم بها البليميون ضد أمن الإمبراطورية في مصر. إضافة لتلك هناك رواية المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس التي ( رغم أنها كتبت حوالي عام 560م) تصف أحداثاً وقعت في نهاية عهد الإمبراطور دايوكليسيان. أما مصادر القرن الرابع يهمنانها مصدرين؛ الأول مجموعة مخربشات ديموطيقية جمعها ونشرها ف.ل. قريفيث عام 1937. الثاني النقش المروري REM 94 المعروف بنقش الملك خرمديا الذي قام بمحاولة فك طلاسمه وتحليله كل من قريفيث و ميليت.

### البليميون في مصادر القرن الثالث الميلادي:

#### أ. *Historiae Augustae Scriptores*<sup>(35)</sup>

يتحدث هذا المصدر عن اشتراك البليميين في الثورة المصرية العارمة التي اندلعت ضد الحكم الروماني في الإسكندرية بقيادة تاجر مصري اسمه فيرموس خلال حكم القيصرين كلوديوس ( 263- 270م) و أورليان ( 270- 276م). ويذكر المصدر أن فيرموس تحالف مع البليميين. يتحدث المصدر في سيرة بروبوس ( 276- 282 م) عن احتلال البليميين لمدينتي قفط و بطلمية في جنوب مصر متحالفين مع متمرد يسمى نارسوس. لكن تمكن بروبوس أخيراً من هزيمة البليميين وإرسال أسراهم إلى روما. الرواية في سيرة بوبوس ( بروبوس 17) تقول الرواية:

« وهكذا بعد أن أعاد الأمن لكل جزء من الأجزاء بامفيليا والولايات الأخرى، وجه أنظاره للشرق فأخضع البليميين وأرسل أسراهم إلى روما..... ذهب كذلك لنجدة مدينتي قفط و بطلمية من استعباد البرابرة وأرجعهما لحظيرة الحكومة الرومانية.»

#### ب. رواية بروكوبيوس القيصري<sup>(36)</sup>.

لأهمية هذه الرواية نقدم ترجمة شبه حرفية لجانب منها:

« تستغرق الرحلة من مدينة أكسوم لحدود مدينة إفتنيني في مصر الرومانية حوالي

30 يوماً. يقطن في هذه المساحة عدد من الأمم من بينهم البليميون والنوباتيون وكلاهما من الشعوب الكثيفة العدد. الآن ( سنة 565 م ) يقطن البليميون في المنطقة الوسطى من البلاد بينما نجد النوباتيين في منطقة وادي النيل . قبل ذلك كانت أملاك الرومان تمتد لمسافة رحلة سبعة أيام ( إلى حد المحرقة) لكن لما جاء دايوكليشيان إلى المنطقة ( حوالي سنة 297-298 م) لاحظ أن ما يجنيه الرومان من ضريبة وحاصلات منها ضئيل جداً لأن مساحة الأرض الزراعية صغيرة للغاية بينما تقيم أعداد كبيرة من الجنود الرومان في معسكرات تنتشر في المنطقة منذ زمن طويل ؛ وكان الإنفاق على هؤلاء الجنود يشكل عبئاً ثقيلاً على خزينة الدولة. في الوقت ذاته كان النوباتيون ، الذين كانوا حينذاك يقطنون المنطقة حوالي مدينة الواحة ( الخارجة) كانوا يشنون هجماتهم على الممتلكات الرومانية في كل المنطقة. لكل ذلك ألح الإمبراطور على البرابرة (Gk. Βαρβαρος)) لينتقلوا من هناك لوادي النيل ، ووعد بمنحهم مدن كبيرة وأرض واسعة وأحسن بالمقارنة بما كان تحت أيديهم في الواحة. لأنه بهذه الطريقة ، في رأي دقلديانوس ، ستنتهي مضايقة النوباتيين لأهل الواحة على الأقل ، كما أن النوباتيين عندما ينتقلون للنيل ويسكنون في أرض يعلمون أنهم أصحابها سيقومون بطرد البليميين وبقية البرابرة منها. لقد أعجب النوباتيون بهذا العرض وعلى التو تركوا الواحة وهاجروا إلى النيل واحتلوا كل المدن الرومانية الواقعة جنوب إلفنتيني على ضفتي النيل. بعد ذلك قرر الإمبراطور أن يدفع لهم وللبليميين مبلغاً محدداً من المال سنوياً بشرط أن لا يقوموا بأي هجمات على أرض الرومان. وما زالوا يتلقون هذه المنحة إلى هذا الوقت ، لكنهم بالرغم من ذلك لم يتركوا عادة الهجوم على أرض الرومان . وهكذا الحال مع كل البرابرة لا يحفظون المواثيق مع الرومان إلا عن طريق القوة.» وهكذا يحدثنا بروكوبيوس أن النوباتيين قبلوا الدعوة وتم تسليمهم المواقع لكنه لم يحدثنا عن مصير البليميين . المتوقع أن الرومان قدموا المساعدات للنوباتيين في البداية ، ومتوقع كذلك تقهر البليميين مواقع جنوب المحرقة مثل المضيق ، توماس، قصر إبريم أو جبل عدة. لكن الغريب وغير المتوقع ما جاء في الرواية أن الإمبراطور دايوكليشيان أصدر قراراً بمنح النوباتيين و البليميين منحة مالية سنوية ( من الذهب ) بشرط أن لا يعتدوا على منطقة الحدود ، وأنهم كانوا يحصلون عليها منذ ذلك الوقت حتى زمن جستنيان. هذه المنحة، برأينا ، كانت جوهر لاتفاق عقد مع القبيلتين في إطار سياسة التحالف ( systemfoederate ) مع زعماء القبائل في الولايات الطرفية التي كانت تنتهجها الإمبراطورية الرومانية للحفاظ على سلامة الحدود وأمنها . سنتحدث مزيد من التفصيل عن هذه السياسة في فقرة الخلاصات أدناه .

بالعودة لموضوع استقرار جماعات بليمية آنذاك في وادي النيل برأينا إن رواية بروكوبيوس تحتوي مؤشرات جيدة على وجودهم في إقليم دودي كاسخوينوس قبيل عهد الإمبراطور دايوكليشيان ( 284- 305 م). فقد ذكر بروكوبيوس إن من بين أهداف الإمبراطور دايوكليشيان لدعوة النوباتيين للإقامة في مواقع المعسكرات الرومانية التي سيتم إخلاؤها، هو رغبته أو اعتقاده بأن « يتمكن النوباتيون من طرد البليميين beat off the Blemmyes » وبقية البرابرة منها . ما يمكن استنتاجه من هذه الجملة أن البليميين كانوا فعلاً هناك ، في إقليم دودي كاسخوينوس في ذلك الوقت الذي

صدر فيه قرار إخلاء الإقليم ، أي حوالى سنة 297- 298 م. ومن الجائز أنهم كانوا يسيطرون عليه. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما طبيعة وجودهم في الإقليم ، وبأي صفة ؟ هذا السؤال سنحاول الإجابة عليه من خلال فرضية اعتمدنا في تأسيسها على المصادر التي ذكرناها في صدر هذه الفقرة ، وعلى دراسة وأفكار طرحها الأستاذ ميليت و أفكار أخرى طرحها باحثون متخصصون في تاريخ وآثار وحضارة مملكة مروى . ولتكن البداية من النتائج التي توصل إليها الأساذ ميليت<sup>(37)</sup>.

أبانت دراسة ميليت أن إقليم دودي كاسخوينوس كان يدار بشكل ثنائي بين الحكومتين الرومانية والمروية. الحكومة المروية كان يمثلها أصحاب الألقاب جنرال النهر ، و جنرال الصحراء. أما إقليم النوبة المروية ، الذي يبدأ جنوب المحرقة ، فكان يدار بواسطة الأمراء ( البشتوات) من مراكزهم في كرونوغ ، غنية فرص وجبل عدا وغيرها. بعد دراسته وتمحيصه للمعلومات التقليدية التي تحتويها شواهد قبور الأمراء والجنرالات ، وبعد تتبع مواقع جباناتهم ، اقترح ميليت أنهم يمثلون شعبتين أو عائلتين مختلفتين أسماهما : الأولى عائلة الأمراء أو البشتوات (clan of the peshtos) والثانية عائلة الجنرالات.(clan of the generals). وافترض ميليت أنه في أواخر القرن الثالث الميلادي تنافست العائلتان على النفوذ وانتهى التنافس بتفوق عائلة الجنرالات التي سيطرت على إقليم دودي كاسخوينوس ومن ثم تمددت جنوباً في مناطق نفوذ البشتوات مستفيدة من النظام الأمومي السائد في عائلة البشتوات. وأضاف أن المشاكل الداخلية التي استشرت في مختلف ولايات الإمبراطورية الأبراطورية منذ أواسط القرن الثالث صرفتها لحد كبير عن الاهتمام بالأطراف مما دفع بالسلطات العسكرية الرومانية في دودي كاسخوينوس للاعتماد على رجال قبائل محليين للقيام بمهمة حماية الحدود<sup>(38)</sup> . لكن ميليت لم يقترح او يسمي قبيلة بعينها ، بينما في رأينا ، ليس هناك ما يمنع أن يتم الاستعانة بالبليمين ، خاصة لما عرفوا به من القيام بمثل هذه الأدوارالعسكرية والشرطية في تاريخ مصر البطلمي والفرعوني . رؤية الأستاذ هيكوك للأحوال في القرن الثالث الميلادي لم تختلف كثيراً عن رؤية ميليت ؛ فقد اعتقد بإزدياد نفوذ الجنرالات، وأيضاً بطبيعة تكوين قوات حرس الحدود الرومانية التي أصبحت تتكون في معظمها من رجال محليين ذوي أصول مروية/ نوبية<sup>(39)</sup>. وهكذا يتفق هؤلاء العلماء على دور مهم قام به رجالات القبائل المحلية وهو مشاركتهم في حماية الإقليم الذي يتبع رسمياً للإمبراطورية الرومانية. فلم يتبق إلا أن نسمي تلك القبائل . إننا من جانبنا نفترض أن البليمين كانوا من ضمن تشكيلة حرس الحدود الروماني في جنوب مصر ؛ ليس ذلك فحسب ، بل ربما كان الفرع منهم المتمركز في إقليم دودي كاسخوينوس هم حملة الألقاب جنرال الماء ، جنرال الصحراء ، حكام تا كمبسو وحكام إقليم الثلاثين شينوس<sup>(40)</sup> . ونذهب أبعد من ذلك ونقول: ربما كان هؤلاء الجنرالات هم الذين شنوا الهجوم على جنوب مصر واحتلوا مدينتي قفط و بطليموس قبل أن يتم تحريرهما بواسطة القائد الروماني بروبوس سنة 276م . هذا البروزالسياسي والعسكري لعائلة الجنرالات وأقاربهم في النوبة السفلى أمر متوقع بسبب الضعف الذي أصاب حكومة المركز في مروى من

جهة ، وبسبب إنشغال روما بمشاكلها الداخلية من جهة أخرى. إن ارتفاع شأن البليميين النيليين في دودي كاسخوينوس ربما كان واحداً من أسباب دعوة الإمبراطور دايوكليشيان النوباتيين لترك واحة الخارجة والقدم لليل والإقامة في مدن المعسكرات الرومانية التي سيتم إخلاؤها (رواية بروكويوس). الهدف من الإخلاء ليس فقط الأسباب التي ذكلاها بروكويوس مثل عبء الصرف وقلة المتحصل من الضرائب والرغبة في توفير الأمان للمواقع الرومانية في الخارجة ، بل إن من بين الأهداف هدف خفي هو ضرب القبائل المحلية بعضها ببعض ( سياسة فرق تسد ) لصفها عن الإغارة على المواقع الرومانية سواء في جنوب مصر أو في واحة الخارجة.

### البليميون في مصادر القرن الرابع الميلادي:

#### أ. المخربشة ( graffito ) الديموطيقية فيلة 371<sup>(41)</sup>:

بالفعل ، تحققت على الأرض سياسة فرق تسد. حيث تفيد معلومات مستقاة من مخربشة ديموطيقية أن ظاهرة وقوع معارك ومجابهات بين البليميين والنوباتيين كانت من الأحداث المتكررة في الإقليم . فبحسب قريفيث إن المخربشة الديموطيقية فيلة رقم 371 المؤرخة لسنة 373م تحتوي إشارات للبليميين والنوبة وأنها أشارت لمعركة وقعت بين القبيلتين في ذلك العام انتهت بانتصار البليميين على النوباديين وأخذهم رهائن منهم .

#### ب. النقش المروي 94 REM<sup>(42)</sup>

إذا انتقلنا إلى النقش المروي 94 REM، بالرغم من قصور فهمنا له ، إلا أن كثير من العلماء الذين حاولوا تحليله، بدءاً بالخبير قريفيث ، اتفقوا على طبيعة موضوعه بشكل عام وهي تسويات في الأراضي بين ملوك ثانويين متصارعين وأن مسرح الصراع النوبة السفلى. فاقترح قريفيث أن خرمدويا ملك مروي كان يقيم في نبتا أو مروي وأنه غزا النوبة السفلى وأنه أشرف على تقسيم أرضها بين الملوك المتصارعين فخصص المنطقة بين تلييس وإبريم (شملوك) للبليميين . الأستاذ ميليت تقبل معظم تحليلات قريفيث لكنه اختلف معه في هوية الملك خرمدويا؛ فذهب إلى أنه ملك النوباديين ، والملك الآخر المذكور في النقش ، يسميني ( قوري لخ) أي الملك الأعظم ، هو ملك البليميين. أما سبب عدم وجود اسم القبيلتين في النقش، قال ميليت إن المرويين ربما كانوا يطلقون على القبيلتين أسماء تختلف عن تلك التي عُرفت بها القبيلتان عند الأجانب. ويعتقد ميليت إن النقش يحتوي كثير من الأسماء القبلية ؛ مثل لاكا ، شاقا ، ناسادويي ، تيمية ، ناخابار ، و ماخو وأخرى. وقال إن المسمى ماخو يشير إلى البليميين وملكهم يسميني ، وساوى بين هذا الأخير وبين ملك اسمه إسميني عُثر على اسمه منحوتاً في مخربشة إغريقية من معبد كلابشة. بالمقابل قال ميليت إن المسمى « ناخابار » يشير للنوباديين وهم رعايا الملك خرمدويا. وربط ميليت بين 94 REM وبين الديموطيقي فيلة 371 ، بل وأعطى 94 REM توريخ فيلة 371 وهو سنة 373 م .

جدير بالذكر إن باحثين آخرين أعطوا خرمديا هوية بليمية اعتماداً على البادئة «خارا» في اسمه والتي وجدت أيضاً في أسماء شخصيات بليمية في الوثائق المعروفة بوثائق الجبلين بما فيهم الملك الذي أصدر الوثيقة جبلين 1. (اسمه خاراخن). من هؤلاء الباحثين الإيطالي مونريه دي فيارد والإنجليزي كيروان وآخرين .

إذا كان العرض الذي قدمناه في الفقرات السابقة يظل من حيث المنهج فرضية يمكن قبولها أو رفضها؛ ظهرت أدلة كتابية مؤكدة تؤرخ للقرن الرابع الميلادي، وبداية الخامس حسمت هيمنة البليميين وإقامة مملكتهم في النصف الشمالي من النوبة السفلى. تتمثل هذه الأدلة في روايتين؛ الأولى للأسقف إيفانيوس السلامي والثانية رواية المؤرخ البيزنطي أوليمبيدوروس.

### ج. رواية القس إيفانيوس (43):

إيفانيوس هو مؤلف كتاب عنوانه De XII Gemmis . ولد بفلسطين عام 315 م ، لكنه انتقل لمصر وعاش لفترة مع الرهبان المصريين . توفي سنة 403 م . يقول في رواية طويلة كتبت بأكثر من لغة من بينها اللاتينية والقبطية والجورجية ، نقتطف آخرة فقرة منها ، يقول: في زمانه (315 - 403 م) كانت مدينة كلابشة تحت سيطرة البليميين . هذا الجزء من الرواية المكتوب باللاتينية يجري على النحو الآتي:

« تقع برنيكي بعد إلفنتيني و كلابشة التي (أي كلابشة) يسيطر عليها البليميون ، لكن مناجم هذا الجبل تحولت إلى خرابات. توجد أيضاً مناجم أخرى في نفس المنطقة الأجنبية التي تتبع للبليميين . تلك الجبال قريبة من كلابشة ، ومنها يستخرج الإثيوبون الزمرد.».

### النسخة القبطية ربما كانت أوضح. فهي تقراً:

« تقع برنيكي في منطقة الجبل ، على مقربة من إلفنتيني و كلابشة التي (أي كلابشة) يسيطر عليها البليميون الآن. أما مناجم الجبل فقد أصبحت خرابات ، لكن توجد مناجم أخرى في نفس المنطقة التي يقطنها البليميون ، كما توجد مناطق بالقرب من كلابشة يستخرج منها الكوشيون الزمرد.».

برنيكي المذكورة في الرواية هي ميناء على ساحل البحر الأحمر الغربي أنشأه بطليموس الثاني. معنى ذلك أن الميناء يطل على أرض تتبع للبجا بشكل عام. أما الجبل فيقصد به جبل كان يسيطر عليه الرومان يحتوي على مناجم للزمرد، ويقع في منتصف المسافة بين برنيكي وإقليم طيبة. المنطقة الأجنبية تشير للصحراء الشرقية . باحثون من بينهم محررو موسوعة FHN اقترحوا أن سيطرة البليميين على كلابشة حدثت في أواخر عهد ثيودوسيوس الأول ( 378 - 395 م) كردة فعل لإصداره المرسوم الذي قضى بإبطال كل مظاهر الوثنية في كل ولايات الإمبراطورية .

## روايات ثانوية تؤرخ للقرن الرابع الميلادي تذكّر البليميين:

هنالك إشارات للبليميين في مصادر رومانية - بيزنطية يصعب تقييم قيمتها التاريخية أو الاجتماعية سنستعرضها باقتضاب في الفقرات التالية. نتحدث :

### أ.رواية يوسيبوس القيصري:

تحدث عن وصول وفد من البليميين إلى بلاط الإمبراطور قسطنطين الأول ( 306- 337 م ) في القسطنطينية. مصدر الرواية كتاب بعنوان « سيرة قسطنطين » لمؤلفه القس يوسيبوس القيصري ( ت: سنة 339م). تناول فيه مناقب قسطنطين مثل التسامح الديني واعترافه بالمسيحية كأحد الأديان الشرعية في الإمبراطورية. ومن مناقبه تعامله مع القبائل البربرية التي كانت تكثر في أقاليم الإمبراطورية ؛ وقال يوسيبوس : إن الرب وضع كثير من القبائل البربرية تحت حكمه. ثم ذكر وفود تلك القبائل وكان من بينها البليميين والهنود والإثيوبيين. تقول الرواية:

« حقيقة سفراء من كل بقاع العالم كانوا يأتون باستمرار جالبين معهم كهديا أنفس الأشياء التي تنتجها بلادهم حتى أنني شاهدت بنفسي ذلك المنظر المؤثر لأجانب (برابرة) واقفين متراصين أمام بوابة القصر الإمبراطوري....ويمكن مشاهدة البليميين ، الهنود والإثيوبيين.... كل واحد من هؤلاء كان يأخذ دوره كما في موكب ( مصور ) في تقديم هديته المحلية النفيسة..... مشيرين بذلك لتقديم خدماتهم للإمبراطور وتحالفهم معه. كان الإمبراطور يتقبل منهم الهدايا ويجازيهم عليها بسخاء..... أما أولئك الأكثر تميزاً بينهم ، فكان ينعم عليهم بألقاب رومانية تشريفية»<sup>(44)</sup>.

أليس من الجائز أن تكون هذه الوفود جاءت في مهام رسمية مثل عقد تحالف أو تجديد اتفاق قديم ، أو لعرض مظلمات أو غيره. ماذا يعني أن ينعم الإمبراطور على وجهائهم بألقاب رومانية تشريفية ؟ الآ يعني ذلك أن هؤلاء الوجهاء هم من حلفاء للإمبراطورية ، معترفين بسيادتها على بلادهم؟. بالرغم من جواز هذه الاحتمالات وجدنا بعض الباحثين ربط وجود الوفود في القسطنطينية بمناسبة احتفال البلاد بمرور 30 عاماً ( tricennalia ) على تتويج الإمبراطور قسطنطين التي كانت سنة 336م.

الرواية التالية تُفهم في نفس السياق ( اهتمام الأباطرة بتقوية التحالفات مع زعماء القبائل في الولايات الطرفية ). يلاحظ أن الفرق الزمني بين الروایتين لا يتعدى التسع سنوات.

### ب. رواية مقتطفة من إرشيف الضابط الروماني فلافيوس أبيناوس:

أساس الرواية إنها ذُكرت كواقعة أو دليل على الإنجازات والخدمات التي قدمها الراوي الضابط في الجيش الروماني (فلافيوس أبيناوس) في شكواه للأباطرة قسطنطينوس و قسطنس ضد رئيسه الذي رفض ترقيته لرتبة كوماندور. فقام الضابط بذكر عمل كبير، أو هو يعتقد بأنه

إنجاز كبير قام به ، وهو اصطحاب مجموعة من اللاجئيين البليبيين إلى البلاط الملكي في القسطنطينية. حدث ذلك حوالي سنة 345م. يقول أينيوس مخاطباً الإمبراطور:

« صدرت لي توجيهات من سينيسيو، الكونت السابق للمنطقة الحدودية لنفس الإقليم (طيبة) بأن اصطحب لاجئين بليبيين إلى مقرك المقدس في القسطنطينية. فأخذتهم إلى هناك يصحبنا الكونت ، وتم تقديمهم لجلالتك ....ومن ثم صدرت لي توجيهات للذهاب مع أولئك اللاجئيين إلى بلادهم. فمكثت معهم ثلاث سنوات كنت خلالها أرسل التقارير لبلاطكم المقدس<sup>(45)</sup> . »

يبدو جلياً أن النص يحتوي إشارات إلى علاقة ما ، ربما تحالف أو اتفاق بين جماعة من البليبيين والسلطات الرومانية في مصر (foederate relationship). ويفهم كذلك أن الإمبراطور أصبح يعلم بموضوع اللاجئيين. من يكون هؤلاء الموصوفون ب اللاجئيين ؟. وما هي قضيتهم وأين بلادهم التي اصطحبهم إليها الضابط أينيوس؟ هل في النوبة السفلى أم في الصحراء؟ أم في مصر؟ الراجح لدينا إنها في دودي كاسخينوس أو جنوب مصر . هل يمثل هؤلاء اللاجئون مجموعة بليبيين هُضمت حقوقها في العيش في بلادها فحملت شكواها للسلطات الرومانية التي بدورها نصحتهم بالذهاب لمقابلة الأباطرة؟

الرواية التالية تؤرخ لبداية القرن الخامس وفيها نجد الدليل القاطع على هيمنة البليبيين على جزء مقدر من وادي النيل السوداني أقاموا فيه مملكتهم.

### مصادر القرن الخامس الميلادي:

#### أ.رواية أوليمبيودوروس<sup>(46)</sup>:

تأكدت سيطرة البليبيين على كلابشة ( ومدن أخرى في دودي كاسخينوس) من رواية للمؤرخ الديبلوماسي البيزنطي أوليمبيودوروس في كتاب ألفه عن تاريخ الفترة 407- 425م.

بحسب ترجمة المؤلفة تجري الرواية على النحو الآتي:

« إنه بينما كان موجوداً في أسوان وطيبة بغرض جمع معلومات .... التقاه بعض من شيوخ قبيلة البليبيين وكهنتهم ( phylarchos & prophets ) من نواحي مدينة كلابشة . قال: فأخذوني لكلابشة ليطلعوني على المناطق الأخرى ( التابعة لهم) التي تمتد لمسافة رحلة خمسة أيام من جزيرة فيلة وحتى المدينة المسماة بريما التي وقعت ، هي وأربعة مدن أخرى ، تحت حكم البرابرة ( البليبيين ) منذ وقت طويل . وقال : فما إلى علمي أنه توجد في تلك الجهات مناجم زمرد .... قال : وقد طلبوا مني أن أقوم بزيارتها لكن تبين لاحقاً أنه لا يمكن زيارتها إلا بموافقة الملك ( باسيليكوس).

جدير بالتنبيه إلى أن « المدينة المسماة « بريما » في الرواية يقصد بها قصر إبريم ، وهو الاسم الذي عرفت به في المصادر اللاتينية ومعناه « الأولى ».

متى بدأت سيطرة البليميين على هذه المنطقة وما مصير منافسيهم النوباديين؟

لا بأس من قبول اقتراح مؤلفي FHN (الحاشية السابقة) بأن هذا الحدث تم في أواخر عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (378-395 م) كردة فعل منهم لإصداره قرار إبطال كل مظاهر الوثنية في ولايات الإمبراطورية الرومانية. بعد أن أحكم البليميون سيطرتهم على المنطقة بين أسوان وقصر إبريم أضطر النوباديون للتقهقر باتجاه الجنوب مؤسسين مواقع جديدة مثل بلانة وقسطل حيث توجد مقابر ملوكهم. اتخذ النوباديون هذه الخطوة إما كنوع من التكتيك أو ربما بتدخل من وسطاء رومانيين. روايات متأخرة ترجح أن المسألة تكتيك لأن النوباديين قاموا بعد ذلك بعدة محاولات للاستيلاء على كلابشة. هذه المحاولات موثقة في مصدرين: الأول ما يعرف برسالة فونين ملك البليميين لأبورني ملك النوباديين. المصدر الثاني هو نقش الملك سيلكو الشهير المنحوت والمصور في جدران معبد كلابشة.

### ب- رسالة فونين ملك البليميين لأبورني ملك النوباديين (47):

الرسالة طويلة لكن نسبة لأهميتها لتصور الأوضاع السياسية والاجتماعية نقدم للقارئ مقتطفات منها بترجمة شبه حرفية من قبل المؤلفة استناداً على ترجمة الأستاذ ج. راي .

« ملك (باسيلوس) البليميين فونين يكتب لملك (باسيلوس) النوباديين أبورني. بعد التحايا. أكتب لمعاليك لأنك سبق أن خاطبتني قائلاً: الرجل العظيم هو الذي يسود في قبيلته. مثل ما لك ابن ، أنا كذلك لدي ابني (اسمه) بريتيك. ولدي إخوان آييني. فلا تعتقد أنه ليس لدي عشرة. أنا أريد الآن أن يقوم ابني بريتيك وإخوان آييني لبحث (موضوع) مقتل آييني. وقد وصلني هنا سفراؤك ولكني منعت بريتيك وإخوان آييني (من التعرض لهم) . لا أحد يستطيع إعلان حرب من غير موافقتي. لكن رجالك أنت ربما لا يأتمرون بأمرك. لقد كتبت لي قائلاً: دعنا نتفق مع بعض فأضم ثروتي الحيوانية من أبقار وضأن لثروتك فترعى كلها مع بعض. وقد رحبت أنا بهذا الكلام. لكن إذا رغبت بأن يبقى كل واحد منا في دياره فليكن.

بالتأكيد سبق أن غزا سيلكو كلابشة واستولى عليها. واليوم قمت أنت بنفس الشيء. سيلكو كان قد طلب مني أن أعطيه ضأن وأبقار وجمال مقابل الخروج من أرضنا. فاستجبت له وأعطيته سؤله. لكنه بالمقابل احتقرنا ومنعنا. فكتبت مخاطباً آييني لأجل التوصل معه لسلام. وأرسلت مبعوثين بعد أن أعطانا الأمان. لكن سيلكو احتقرهم . وفي الموقع المسمى فونتوا قتل (سيلكو) شيخ القبيلة والأمير (hypotyranos) وأسر الكهنة. كل هذه أفعال معيبة. ونتيجة لهذه الأعمال من قبل سيلكو بخاصة تجاه آييني ، غضبت أنا وحزنت وأعلنت الحرب على سيلكو.

الآن نسي الناس ما قاله سيلكو وآييني، هل نظل نحن متمسكين بها؟ لا. دعنا نتصالح كما الإخوة ، وأنت بمثابة الأخ الأكبر. لتحقيق ذلك أخرج من أرضنا وأعد إلينا تماثيل الآلهة (باسيلوس) التي كانت في المعبد حتى ننعم بحياة سعيدة. وقد وصلتني مطلوباتك من الفضة والضأن والجمال. وقد قمنا بإرسالها لك. لذلك رجاء الخروج من أرضنا.... وسأمضي معك صلحاً. إذا لم تفعل فسون نظطر لقتالك.

أكتب لك بشأن أمور أخرى. المدعو باخينيوس هجم على ( بلدة؟) دانات ودمرها. والآخر المسمى كوي اجتاح المنطقة الواقعة حول تابال كما غزا كابانتيا. نحن كلنا ملوك ولن نسمح لك بغزو أراضينا.

عندما جاني سفراؤك قمت على التو بتعيين اسكارو ابن إينيم ليتسلم أرضنا ( منكم) وكنت قد صدقتك ( بأنك ستعيدها لنا). والآن أقسم لك بأننا سنعيش بسلام. وأخيراً أنا قد قطعت عهداً لإخوان آييني...

أنا الفيلاركوس بريتيك أرسل سلامي لسيدي وأخي أبورني ملك النوبادين. كما أحيي آلهة كلابشة. ( وأكرر) حال إرجاعك أرضنا لن نحترب مرة أخرى. سنصون السلم بأمانة.

أنا فونين ، الملك ، أرسلت ( لك) بغير هدية . ونختم أنا وبريتيك بتذكيرك بالمدعو لاساتك. عليك ملاحظته. ولا تصغي لما يقوله المتمردون.

تعقيب:تم العثور في وقت سابق في كلابشة على نقش مكتوب بلغة إغريقية وضيفة للغاية يذكر شخصاً اسمه فونين Phonoin يحمل لقب فيلاركوس يبدو أنه هو نفسه فونين صاحب هذه الرسالة بعد أن ارتقى لمنصب الملك<sup>(48)</sup>. هذه المعلومة ومعلومات أخرى نستقيها من هذا النص ، تفيد في إلغاء مزيد من الضؤ على نظام الحكم عند البليمين الذي سنلخص أهم ملامحه بعض استعراض كل المصادر ( انظر الخلاصة ).

فحوى الرسالة إن ملك البليمين فونين قد خسر معركة ضد النوبادين بقيادة ملكهم أبورني كان أهم نتائجها فقدان مدينة كلابشة. نفهم كذلك أن فونين قد تزامن لفترة مع سيلكو، وهو الآن متزامن مع أبورني ، وأن كلاهما، سيلكو وأبورني، قاما باحتلال كلابشة وأن سيلكو بعد زحزحتها وغيابه لفترة من السلطة ، عاد مرة ثانية لحكم مملكة النوبادين . بالتأكيد الرسالة لا تخلو من غموض وذلك يعود لضعف قدرات من كتبها ولمحدودية فهمه لقواعد اللغة والنحو الإغريقية. لكن ما نرجحه هو أن هذه الرسالة كتبت بعد حملة سيلكو الثانية على كلابشة عندما كان سيلكو مجرد باسيلوس ومثله كان أبورني . وهذا يظهر من قول سيلكو في نقشه الموجود في كلابشة أنه حضر لكلابشة وتافة مرتين واشتبك مع البليمين .ثم توسلوا له ليضع لهم شروطاً لعقد صلح بينهم. بعد ذلك تطورت الأمور على نحو مختلف لا نعرف عنه شيئاً فأصبح سيلكو باسيليسكوس ( أي الملك الأعظم) كما نقرأ في نقشه.

قبل أن نتقل لتحليل نقش الباسيليسكوس سيلكو نستعرض مصادر أجنبية رومانية بيزنطية لها علاقة بأحداث المنطقة وتساعد في إلقاء مزيد من الضؤ على علاقة البليمين بالنوبادين من جهة وعلاقتهم بالرومان من جهة أخرى.

### ج. رسالة القس أبيون (تعرف أيضاً ببردية ليدن) للأباطرة الرومان<sup>(49)</sup>.

بعث القس المسئول عن كنائس أسوان وإلفنتيني للأباطرة ثيودوسيوس الثاني ( 408- 450 ) وفالنتينيان الثالث ( 423- 455) برسائل يشكو فيها من هجمات قبائل النوبادين والبليمين.

وبعد أن أطال الشكوى أعلن طلبه وهو أن ترسل له السلطات قوات لحماية كنائسه يكون مقرها بالقرب من الكنائس . هذا المصدر والمصدر التالي يرجحان أن القبيلتين كانتا تقودان أحياناً هجمات مشتركة في وضع أشبه بالتحالف ضد عدو مشترك ، بلا شك هو السلطات الرومانية في مصر. نرجح أن سبب العدا هو قرارات الإمبراطور ثيودوسيوس الأول التي أشرنا إليها سابقاً.

#### د. رواية المؤرخ بريسكاس ( حوالى 452-453م) حول هزيمة الرومان للبليمين والنوباديين<sup>(50)</sup>.

بريسكاس مؤرخ مشهور كتب تاريخاً من سبعة مجلدات يغطي الفترة من 411-472 م. الأهم من ذلك أنه يعتبر شاهد عيان للأحداث التي يحكيها في هذه الرواية الطويلة . ملخص الرواية أن القائد الروماني الجنرال ماكسيميناس تمكن من هزيمة القبيلتين مجتمعتين ومن بعد ذلك دخل معهما في مفاوضات انتهت بعقد هدنة مدتها مائة عام ، وبفرض شروط على القبيلتين تمثلت في إطلاق سراح كل الأسرى الرومان سواء أسرى الهجوم الأخير أو الهجمات السابقة من غير دفع ديوات ، وكذلك إعادة الحيوانات التي نهبت لأصحابها ، وأيضاً دفع تعويض للحكومة الرومانية بسبب ما صرفته على الحرب. وكان الشرط الأقصى هو أن تقوم القبيلتان بتسليم الرومان رهائن من خيرة أبنائهم كضمان لتنفيذ الهدنة. وأكدت الرواية تسليم الرهائن وكان من بينهم أبناء ملوك سابقين من البليمين والنوباديين . وقد تم التوقيع على هذا الصلح في جزيرة فيلة بعد أن تم تسليم الرهائن. بالمقابل، ومما يدعو للدهشة والاستغراب ، سمح ماكسيميناس المسيحي للبليمين والنوباديين باخذ تمثال المعبودة إيزيس الموجود في معبدها بفيلة والعبور به لبلادهم مرة كل سنة وذلك بغرض الاستخارة ، ومن ثم إعادته لمكانه في الجزيرة.

حدث بعد ذلك بقليل أن مرض ماكسيميناس بمرض خطير أدى لوفاته . وعندما علم البليمين والنوباديون بالخبر هجموا من جديد واسترجعوا رهائنهم بالقوة.

حول سبب هذا الهجوم المشترك على الحدود الرومانية ربما يعود برأينا لتلك روما في عهد إمبراطورها مارسيان في إمداد القبيلتين بالمبالغ المالية التي تم الاتفاق عليها في عهد الإمبراطور دايوكليشيان. من الملاحظ أن الهجوم وقع في عهد الإمبراطور مارسيان الذي صعد لسدة الحكم سنة 450م. واستمر عهده حتى سنة 457م . هل كان ذلك مصادفة ؟ داخلياً ، عُرف عن مارسيان أنه قام بنقض الاتفاق مع قبيلة الهون الذي كان قد أبرمه معها سلفه ثيودوسيوس الثاني بعد توقيع هدنة مع القبيلة التي كان يرأسها آنذاك الملك البربري أتيل. قضى ذلك الاتفاق بأن تدفع روما للهون 60000 ( ستون ألف) رطل من الذهب لحظة التوقيع ، ثم من بعد ذلك 2100 رطل ذهب سنوياً. شكلت هذه المبالغ عبئاً كبيراً على كاهل الشعب الروماني الذي فُرضت عليه ضريبة حرب لتوفير هذا المبلغ. لكن إثر وفاة ثيودوسيوس عام 450م ، انتهز مارسيان إنشغال أتيل ملك الهون بحروب في الغرب فأمر بإيقاف المبلغ الذي كان يدفع له. لذلك لا نستبعد إن الإمبراطور مارسيان نفسه أمر بإيقاف الإعانات للبليمين والنوباديين الشئ الذي أدى لقيامهم بذلك الهجوم المشترك في عام 452م.

## هـ. حملة القائد فلوروس حول رد هجوم بليمي - نوبادي<sup>(51)</sup>.

تشير المصادر الرومانية المتعلقة بالسنة 453م إلى وجود قائد للقوات الرومانية اسمه فلوروس يحمل اللقب (Comes Aeg. et Praef. Aug) يبدو أنه كان مقيماً بالإسكندرية. يقول المؤرخ إيفاغاريوس (Evagarius) في مؤلفه تاريخ الكنيسة إن القائد فلوروس تصدى للهجوم الذي حدث بعد وفاة ماكسيميناس ورد المعتدين لكنه تغاضى عن فكرة استرجاع الرهائن. **و. نقش الملك سيلكو<sup>(52)</sup>:**

### يقول النقش:

« أنا سيلكو ملك (باسيليسكوس βασιλικος)<sup>(53)</sup> النوباديين وكل الإثيوبيين حضرت إلى كلابشة (تالميس) وتافيس (تافة) مرتين واشتبكت مع البليميين وتحقق لي النصر بفضل الرب (God). في المرة الثالثة انتصرت عليهم وسيطرت على كل مدنهم بقوة جيوشي. عندما غزوتهم في المرة الأولى توسلوا إلي أن أضع لهم شروطاً ونمضي صلحاً بيننا. فعقدنا صلحاً وأقسموا لي بألتهم وكنت اعتقد أنهم قوم شرفاء. وهكذا رجعت أدراجي إلى بلدي في الجنوب. عندما صرت ملكاً أعظماً (باسيليسكوس) ما كنت أتبع الملوك (باسيلوس βασιλος) بل كنت في المقدمة. ما كنت أترك الذين يناصروني العداة مستقرين في إماراتهم إلا بعد أن يقدموا لي فروض الطاعة. فأنا أسد الشمال و دب الجنوب. لقد حاربت البليميين بين إبريم وتليليس وفي إحدى المرات دمرت أوطان الآخرين؟؟ القاطنين جنوب النوباديين لأنهم تحدوني. أما الحكام الذين يتحدوني فلا أتركهم ينعمون بالظل بل يجلسون تحت الشمس. ولا أسمح لهم بشرب الماء في بيوتهم؛ لأنني حرمتهم من نسائهم وأطفالهم.»

هل يمكن أن نستنتج من هذا النقش أن سيلكو قضى على مملكة البليميين في وادي النيل في المعركة الثالثة كما يقول هذا النقش؟ وإذا صح ذلك هل بالإمكان قبول فرضية أن عهد سيلكو الملك الأعظم بدأ، كما نتصور، بعد مرحلة التحالف بين القبيلتين الذي تبدى في الهجوم المشترك على المواقع المصرية سنة 452 م؟ يبدو لنا في ظل الأحوال السياسية التي توحى بوجود عدد من الممالك المستقلة الصغيرة تحت ملوك ثانويين أن أي واحد من الملوك المستقلين يمكن أن يعقد تحالفاً مع ملك البليميين أو ممثليه الموجودون في كلابشة. لذلك لا نستبعد حدوث عدة جولات من المعارك بين القبيلتين قادها ملوك ثانويين مختلفون. في الغالب تنتهي تلك المعارك بتقديم هدايا من البليميين للنوباديين في شكل فضة أو حيوانات، فيرجع المعتدون أدراجهم. من الملاحظ أن النوباديين يطلبون فضة ولم يطلبوا ذهباً المعدن المفترض أنه الأنفس والأعلى قيمة. تخلص الكاتبة إلى أن سيلكو حقق نصراً حاسماً على البليميين في جولته الثالثة هذه التي ربما حدثت خلال النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي. ترتب على هذا الانتصار خروج البليميين من كل مواقعهم في النوبة السفلى وفقدتهم ملكهم النيلي للأبد. في مقابل خروجهم

من النوبة ربما عرض الرومان عليهم أرضاً بديلة كنوع من التسوية. هذه الأرض البديلة هي جزيرة تانارالمذكورة في وثائق الجبلين. الدليل على نهاية مملكة البليميين النيلية أنه خلال زيارة المبشر الرسمي جوليان الذي أرسلتهامملكة ثيودورا زوجة جستنيان ( توفت سنة 545 م) لتنصير ملك النوباديين حوالي سنة 543 م لم يكن هناك وجود لمملكة البليميين بل حل محلهم مباشرة جنوب أسوان النوباديون، وذكر يوحنا إن اسم مملكتهم هو نوباديا. ذكر كذلك إن المنطقة الواقعة جنوب مملكة النوباديين مباشرة كانت تحت هيمنة مملكة أخرى تسمى ماكوريا ( المقرة). وإلى الجنوب من الأخيرة قامت مملكة علوة<sup>(54)</sup>. إذن لا وجود للبليميين في أي بقعة من وادي النيل بين أسوان والخرطوم.

تعقيبات يوجد في نفس الجدار المنقوش عليه نقش سيلكو تصوير ( باهت الآن) يصور سيلكو وهو يمتطي صهوة حصان ويتدثر بملابس تشبه الملابس التي يرتديها ملوك الرومان المعاصرين له. كذلك نراه يلبس على رأسه تاجاً قال بعض الباحثين والخبراء إنه يشبه التيجان المحلية التي تم العثور عليها في مدافن جبانة بلانة. يعلو التاج قرص مجنح قال بعض الباحثين إنه إشارة للسيادة الرومانية على مملكة سيلكو. وربما كان ذلك صحيحاً. نخلص إلى أن الرومان قرروا اختيار النوباديين كحلفاء لهم في المنطقة فقدموا لزعيمهم سيلكو معينات ساعدته على هزيمة البليميين. بالنسبة للبليميين نعتقد أن الرومان توصلوا معهم لتسوية تمثلت في تقديم إعانات مالية وعينية، وهذه أثبتها المؤرخ بروكوبيوس، إضافة، كما أسلفت الذكر، لمنحهم جزيرة في الجبلين في جنوب مصر كمساعدة لهم في زيادة مواردهم والاستمرار في تقديم الخدمات المطلوبة من قبل الرومان في إطار سياسة التحالف مع القبائل الطرفية.

#### ز. رواية بيسا عن الأب شنوتي وملك البليميين (55) :

بيسا هو خليفة الأب شنوتي في رئاسة الدير الأبيض في إخميم بمديرية سوهاج. توفي الأب شنوتي حوالي سنة 466م؛ وعليه يجوز توقيت هذه الرواية لأي سنة من سنوات أواسط القرن الخامس الميلادي؛ كتب النص بالقبطية البحرية حيث جاء اسم البليميين بهذا الشكل (Balnemmowi). كل المكتوبات باللغة القبطية بمختلف لهجاتها تؤرخ لتاريخ متأخر (الرابع ميلادي وما بعد) ومعظمها حكايات وقصص تنسب لأبا شنوتي، والحكايات في معظمها تهدف لتسليط الضوء على الرجل الذي اعتقد مريدوه بقديسيته وقدرته على عمل المعجزات. ونعتقد أن هذه الرواية كتبت في هذا السياق.

الرواية بلسان بيسا، وفيما يلي ترجمتها بتصرف: « حدث أن البليميين تحركوا باتجاه الشمال واحتلوا بعض المدن وأخذوا أسرى وحيوانات. ومن ثم قفلوا راجعين باتجاه الجنوب وتوقفوا عند بطلمية..... فذهب إليهم والدي، أبا شنوتي بغرض تخليص الأسرى. فعبر النهر ليصل إليهم في الضفة الشرقية؛ فتصدى له بعض رجالهم رافعين حراهم يريدون قتله. في الحال تخشبت أيديهم وظلت بهذه الحالة مثل قطع من الخشب. فصرخوا من شدة الألم. حالة

تخشب الأيدي انتقلت لكل أفراد المجموعة. واصل أبا شنوتي سيره إلى أن وصل مقر الملك ( ملك البليميين) وكان الأخير قد عرف حقيقة أبا شنوتي أن له قوة خارقة لا يراها الآخرون. فما كما من ملك البليميين إلا أن سجد أمام قدمي أبا شنوتي وتضرع له أن يخلص رجاله من حالة التخشب. فاستجاب أبا شنوتي ، فرسم عليهم علامة الصليب قعادوا أصحاباء...»

يتضح من الرواية أن هجمات البليميين على السكان المسيحيين في جنوب مصر ، وبخاصة في الأديرة كانت متواصلة. غير أننا لا نستطيع أن نحدد عما إذا كان المعتدون يمثلون بليميي النوبة السفلى أم أن الحادثة وقعت بعد فقدان البليميين لمواقعهم في النوبة السفلى . لكن المؤكد أن مقر ملك البليميين كان في الضفة الشرقية غير بعيد من النيل في محيط دير أبا شنوتي .

### ح. وثائق البليميين من الجبلين<sup>(56)</sup>:

هي مجموعة تتكون من ثلاثة عشرة قطعة من جلد الغزال تم استخدامها لكتابة وثائق قصيرة ، أطولها تتكون من سبعة عشرة سطرًا وأقصرها من سبعة أسطر . اللغة المستخدمة إما إغريقية أو قبطية أو خلطة إغريقي وقبطي. سبب ربط الوثائق بقريه جبلين في جنوب مصر هو أنها جاءت من هناك حيث تم شراؤها من فلاح ينتمي لهذه القرية. لكن كثير من الباحثين ما زالوا متشككين في تحديد موقع جزيرة تانار المذكورة في الوثيقتين الملكيتين هل تقع في جنوب مصر ( في الجبلين نفسها ) أم أن تانار تقع في النوبة السفلى . الخبر إميري قال إن جزيرة تانار هي جزيرة موعلا في الضفة الشرقية للنيل جنوب الجبلين<sup>(57)</sup>.

تفاوتت هذه الوثائق في أهميتها التاريخية ، حيث نجد عشرة منها تتحدث عن معاملات بين أفراد من نوع بيع أو شراء أو توثيق دين. هناك وثيقتان صدرتا من ملكين بليميين تتعلقان بجزيرة تسمى تانار. الوثيقة رقم 13 ( FHN 339 ) صدرت باسم ملك البليميين برخيا وتتحدث عن موضوع مختلف بعض الشيء . اتفق الباحثون أن كل الوثائق تعود للبليميين لعدة أسباب أولها أن ثلاثة منها أصدرها ملك بليمي ذكر اسمه في صدر الوثيقة ( أنا فلان ملك البليميين). سبب ثان هو أنه توجد في بقية الوثائق مؤشرات تربطها بالوثائق الملكية ، وكذلك ببعضها البعض ؛ مثلاً تكرار نفس الأسماء ، وتكرار اسم نفس الكاتب . من جهة أخرى استبعد العلماء صلة المصريين بأي وثيقة بسبب أن الأسماء الواردة فيها ليست مصرية.

فيما يتعلق بتاريخ وثائق الجبلين ، كان الجيل الأول من العلماء الذين تدارسوها مثل الخبر كرال (Krall) والخبير ويسلي (Wessely) قد صرحا بصعوبة تحديد زمن كتابتها ، لكنهم قدموا تقديرات تتراوح بين نهاية القرن الخامس الميلادي ، وبداية السادس أو السادس بشكل عام<sup>(58)</sup>. سنذكر في الفقرات التالية الوثائق الملكية ، إثنان منهما تتحدثان عن جزيرة تانار. تقول الوثيقة الأولى:

« أنا خاراخن، ملك ( باسيليسكوس) البليميين أكتب لأبناء خاراخن ، خاربا بتخور و خاراخيت، بأنني أمرت بأن أوكل إليكما إدارة الجزيرة المسماة تانار، وأنه لا يوجد أمر لأي شخص

يمنعكما. لكن إذا بدرت ممانعات من الرومان لتسليم الضريبة المفروضة ، فعلى الفيلاركوس والهايبوتائرانوس القبض عليهم حتى يسددوا الضريبة المستحقة على جزيرتي »

توجد أربعة سطور تلي متن الرسالة ؛ نجد في السطرالأول اسم الملك و لقبه الملكي وأخيراً شكل مرسوم عبارة عن دائرة يخرج من محيطها خط هكذا(O—). في الثاني اسم الشاهد الأول و لقبه وهو الدوميسستكوس لايزي . في السطر الثالث يوجد اسم و لقب الشاهد الثاني وهو الدوميسستكوس تيوتيكنا. في السطر الأخير نجد اسم الكاتب سانسنوس والتاريخ بنظام السنة المالية.

الوثيقة الأخرى أصدرها ملك بليمي اسمه بوكاتمني.وهي تقرأ كالاتي:

« أنا بوكاتمني ، الملك ( باسيليسكوس ) الأشهر، اكتب إلى الكاهن باو بأبني منحتك إدارة جزيرة تسمير، المعروفة ب تانار من الآن وإلى الأبد. وأنا راض تماماً بهذا القرار.».

يلي ذلك سطرنقرأ فيه: « كتبتها أنا الكاتب أقاتون، في اليوم الثالث والعشرين من شهر أثير، السنة المالية الحادية عشرة ( 11<sup>th</sup> indiction)».

ملاحظة: سبق اسم الملك في السطر الأول علامة الصليب.

الوثيقة الثالثة مكتوبة باللغة القبطية وهي صادرة من ملك البليميين برخيا لامرأة لها اسم وثنى ( أمناس) وآخر مسيحي ( صوفيا) تتحدث عن موضوع غير مفهوم. من الأمور المهمة في هذه الوثيقة إن الملك برخيا ذكر أنه وصل للحكم عقب الملك خاراخن مما يوحي باستقرار الأوضاع في مملكة البليميين وامتدادهاحوالي ثلاثة أجيالعلى أقل التقديرات. يلاحظ عن الوثيقة أيضاً أن كاتبها أقاتون قد مر ذكره في وثيقة أخرى باعتباره الكاتب مما يشكل عامل ربط بين الوثائق. من الشهود على محتوى هذه الوثيقة الملك نفسه ، ورجل اسمه لايزي ظهر كشاهد في وثيقة أخرى ، وآخرون يحملون الألقاب هاييوتائرانوس و فيلاركوس. كل ذلك يعزز من فكرة نسبة كل الوثائق للبليميين .

تعقيب:من الملاحظات على الوثيقة الأولى توقيع الملك واستخدامه العلامة O— أمام اسمه.

## ط . ثقافة البليميين المادية في وادي النيل:

في أبسط تعريف له، يقصد بمصطلح « ثقافة مادية » مخلفات مادية مثل الفخار، الصناعات الصغيرة ، عادات الدفن وطرز المعمار. المجموعات البليمية التي استقرت في بعض المدن المصرية الجنوبية على أيام دولة البطالمة لا يُعرف لها مخلفات محددة؛ بل الاعتقاد السائد وسط العلماء هو إما أنها تبنت ثقافة المجتمع الذي عاشت وسطه أو أن مخلفاتها لم تكتشف أو لم يتم التعرف عليها بعد. الشئ نفسه يمكن أن يقال عن ثقافة البليميين المادية في المعسكرات الرومانية في دودي كاسخوينوس حتى وقت إخلائها؛ لكن بعد إخلاء المعسكرات وجلاء الرومان حوالى سنة

298 م تنازعت المنطقة القبائل المحلية ولم تفلح سياسة السلطات الرومانية في مصر في وجود حل لهذه المشكلة. وشمل الصراع منطقة النوبة المروية التي تبدأ جنوب المحرقة . المصادر الكتابية تبين أن التنافس انحصر في قبيلتين ؛ هما النوباديين ( أو النوباتيون كما في بروكوبيوس) والبليمين. التنقيبات الأثرية التي جرت منذ العام 1907 وحتى وقت غرق المنطقة عام 1964 كانت موجهة لإنقاذ آثار المنطقة من الغرق المحتوم بسبب مشروع بناء خزان أسوان ثم توسعته فيما بعد ليصبح خزان السد العالي. أول اكتشاف لآثار المنطقة موضوع دراستنا حدث في العام نفسه ، 1907. وقد أطلق عليها مكتشفها ، الأمريكي جورج رايزنر ، مسمى « ثقافة المجموعة س » أو (X-Group Culture). تميزت الثقافة بفخار مميز بأشكاله وتقنيته وزخارفه ، وهو بالرغم من وجود الأثر الروماني فيه ، يختلف عن سابقه الروماني في دودي كاسخونوس ، وسابقه المروي جنوب المحرقة. اكتشف رايزنر وفيرث من بعده مدافن عادية لعامة الناس. التنقيبات اللاحقة في الثلاثينات اكتشفت الحد الجنوبي لثقافة المجموعة س وكان في قرية سيسيبى شمال الشلال الثالث. وهكذا بسبب تسمية رايزنر غلب على هذه المرحلة الزمنية التي ساد فيها هذا الفخار وتلك القبور مسمى حقبة المجموعة س ، أو المجموعة المجهولة . وقد امتدت الحقبة لحوالي مائتي عام ( 350 - 550 م) ظهر بعدها الفخار المسيحي وبقية آثار الحقبة المسيحية.

حتى العام 1931 ، لم توفق بعثات التنقيب المتتالية في العثور على مقار أو عواصم مملكتي البليمين و النوباديين أو على مدافنهم التي يفترض أن تكون ملكية. لكن في ذلك العام حدث اختراق مهم حيث تم العثور على مدافن ركامية ( تلية ) ، بعضها بأحجام ضخمة ، في موقعين إثنيين ؛ الأول بلانة على الضفة الغربية للنيل ، والثاني قسطل على الضفة الشرقية في مقابلة بلانة تقريباً ( الخريطة 3) . تبين من المعثورات في غرف الدفن ( خاصة التيجان) أن الجبانتين ملكيتان. لكن بما أنهما تقعان جغرافياً خارج حدود مملكة البليمين التي حدتها رواية أوليميودوروس ، وحددها، إلى حد ، ما نقش سيلكو (الذي حارب البليمين بين إبريم و تلبليس) فقد اتفق جمهور العلماء ( عدا قلة منهم) أن جبانتى قسطل وبلانة هما مدافن ملوك النوباديين.

أما عن حكام البليمين فقد اعتقد البعض أن يتم اكتشافها في موقع قصر إبريم حيث توجد جبانات ومدافن تلية ركامية تماثل ثلاث بلانة من حيث المعمار لكنها أقل حجماً. أجرى حفريات قصر إبريم الخبير و. دبليو إميري في عام 1961 ، لكنه توفي قبل أن يتمكن من نشر نتائجه، فقام بنشرها نيابة عنه الخبير أنتوني ميلز A. Mills عام 1982<sup>(59)</sup>.

مثل بقية المواقع المنتمة لثقافة المجموعة س ، تنتشر في إبريم مئات التلات ، قام إميري بفتح بعضها في الجبانة رقم 192. وفيها عثر على قبرين فقط يتكونان من حجرتي دفن (بقية القبور بها حجرة دفن واحدة). أكبر القبرين هو 2/192 الذي تبلغ محيط تلاته حوالي 19 متراً ، وارتفاعه آنذاك حوالي مترين ونصف المتر. تمكن اللصوص من الوصول لحجرة الدفن ونهب محتوياتها. أما صاحب القبر فهو رجل يبدو أنه كان يرقد على نقالة خشبية تم العثور على بقايا

هيكلاها. في الحجرة الثانية التي لم يصل إليها للصوص، تم العثور على عدد من القرابين مثل أوأني فخارية معدنية، زجاجية، خواتم أصابع من الفضة وصناديق من العاجلكنها على كل حال لا تبدو مناسبة مع شخصية ملك. القبر الثاني ( 23/192) أقل في الحجم، بلغ محيط تلتنه حوالي 11 متراً وارتفاعها حوالي مترين. عثر بداخل حجرة الدفن على جثامين أحد عشر شخصاً، ربما أضحيات وربما دفنات جماعية عادية. لكن لم يتم التعرف على صاحب الدفنة الرئيسة<sup>(60)</sup>.

لكن السؤال الذي يحتاج لإجابة هو لماذا نتوقع العثور على مقابر ملوك البليميين في المنطقة النيلية من مملكتهم الممتدة لمئات الأميال شرق النيل.؟ حقيقة هناك علماء يعتقدون، وهم برأينا، محقون في هذا الاعتقاد، بأن ملوك البليميين ما كانوا يقيمون في المواقع النيلية بل أقاموا في مواقع في الصحراء الشرقية قريبة من النيل، لكنهم كانوا يأتون لزيارة المواقع النيلية من وقت لآخر. هذا الشيء ينطبق على كل ملوك البليميين، سواء أولئك الذين ظهروا في وثائق كلابشة أو الآخرين الذين ظهروا في وثائق الجبلين.<sup>(61)</sup> هذا الرأي يبدو معقولاً جداً ويمكن التديليل عليه من بعض الروايات. كمثال رواية أوليميودوروس، فهي تبين بجلاء أن الملك لم يكن موجوداً في إبريم عندما زار أوليميودوروس المدينة بصحبة الفيلاركوس والكهنة.

إذا كان الأمر كذلك، من هم أصحاب مدافن قصر إبريم. يبدو ممكناً جداً أن القبور المميزة بغرفتي دفن وتلات كبيرة بعض الشيء كانت قبور الشخصيات المهمة في حكومة إبريم. نقصد بهؤلاء كل المسؤولين من حملة الألقاب فيلاركوس، هايبوتانوس، كاهنالخ. هؤلاء يجوز أن يدفنوا في القبور كبيرة الحجم في جبانات في وادي النيل؛ أما القبور المتوسطة والبسيطة فهي مدافن بقية المسؤولين أو حتى أفراد من عامة الناس. المهم في الأمر أن مدافن قصر إبريم تعكس الثقافة السائدة في بقية المنطقة بين أسوان وسيبسي، ثقافة المجموعة س التي وجدناها في قبور السواد الأعظم من سكان المنطقة.

## ي. الآثار والتنقيب الأثري في شرق السودان :

ما زال التنقيب الأثري العلمي في الصحراء الشرقية محدود ومشتت بين التنقيب في حقب ما قبل التاريخ والحقب التاريخية. وملاحظتنا الشخصية أن النوع الأول يحظى باهتمام أكبر. من جهة أخرى البعثات العاملة في الصحراء الشرقية ( بشقيها المصري والسوداني) قليلة جداً مقارنة بعدد البعثات التي تعمل في المواقع النيلية. عموماً، منذ ثمانينات القرن الماضي بدأ حراك نشط من قبل بعثات إيطالية استمرت تعمل حتى الآن. ثم دخلت الحقل في العقود الثلاثة الماضية بعثات بولندية وأخرى آسيوية بعضها متعاون مع أقسام أثار في جامعات سودانية.

الهدف من كتابة هذه الفقرة هو التعرف على الثقافات المادية التي تم اكتشافها في الصحراء الشرقية ( موطن البجا) التي تؤرخ للحقبة موضوع هذا البحث ( 2200ق.م.-580م) ومحاولة معرفة هوية أصحابها وهل بالإمكان نسبتها لأي من القبائل البجاوية المعروفة تاريخياً. لحسن الحظ تمت تنقيبات في مواقع تم تواريخها لفترة زمنية تقع في إطارها الحقب

موضوع بحثنا؛ تنقسم مواقع تلك الفترة الزمنية لقسمين؛ الأول مواقع تؤرخ للألفية الأخيرة قبل الميلاد؛ وهذه تقع فيها الحقبة البطلمية المصرية والحقبة الكوشية النبتية. القسم الثاني مواقع تؤرخ للألفية الأولى ميلادية، وهذه تندرج فيها الحقبة الرومانية البيزنطية في مصر، والمروية المتأخرة في كوش.

المعلومات التي سنذكرها في الفقرات التالية استقينها بشكل أساسي من مقال جامع للأستاذ أندرية مانزو (A. Manzo) (خبير آثار الصحراء الشرقية المعروف<sup>(62)</sup>).

أهم معالم الثقافة المادية في الصحراء الشرقية التي تم توثيقها من هذه الفترة معلمان؛ الأول فخار أطلقوا عليه اسم فخار الصحراء الشرقية (EDW). المعلم الثاني قبور بمنصات أسطوانية حجرية.

ما صفة هذا الفخار وتلك المنصات الجنائزية وما هو مدى انتشارهما؟ وإلى أي مدى يمكن نسبتها للبجا؟

### أ.الفخار:

الأشكال الشائعة فناجين وكأسات. هناك قليل من القوارير وشكل رابع ربما مباخر. الزخارف المستخدمة هي الطبع والتحيز. الألوان السطحية الأسود والأحمر. تم التقاط هذا الفخار من مواقع في الصحراء المصرية جنوب وادي حمامات، ومواقع رومانية - وبيزنطية على ساحل البحر الأحمر المصري. في السودان تم العثور عليه في وادي العلاقي، وادي ققبة وفي جبال الأحمر الداخلية، في طابوت وفي رومليد شرق كسلا وفي مناطق البجا الجنوبيين على الحدود الإريترية الإثيوبية. أيضاً تم التقاط هذا الفخار من مواقع في النوبة السفلى بخاصة المنطقة الممتدة من كلابشة لوادى قطنة. الاستنتاج الذي يمكن طرحه بخصوص انتشار هذا الفخار هو وجود علاقة بين مستخدمي هذا الفخار (نفترض أنهم البجا) وبين سكان وادي النيل وكذلك الجماعات المقيمة في القلاع الرومانية. طبيعة العلاقة في الغالب هي تبادل المصالح والمنافع؛ بعبارة أخرى شكل من أشكال التجارة بالمقايضة، يمكن مقارنته بما كان يحدث بين المدجاي والمصريين خلال الفترة الفرعونية. بضاعة البجا ربما شملت منتجات الحيوانات مثل اللحم المجفف والدهون الحيوانية و مصنوعات جلدية كالنعال والحقائب. وربما شملت كذلك حيوانات حية من ضأن وأبقار وجمال. بضاعة سكان وادي النيل هي في الغالب أقمشة وحاصلات زراعية وأواني معدنية. جدير بلفت الانتباه أن الجمل دخل أرض البجا في حوالى القرن الأول ق.م. لكن انتشار استخدامه بوتيرة أكبر خلال الفترة الرومانية. وقد لاحظ خبراء الآثار زيادة في المواقع من هذه الفترة أرجعوا سببها لسهولة حركة القبائل بسبب استخدام الجمل كوسيلة فعالة للركوب والنقل والحركة.

من جهة أخرى يمكن ملاحظة أن تلك المواقع من النوبة السفلى التي وجد فيها هذا الفخار كانت، بحسب المصادر الكتابية، من ضمن مملكة البليميين. وعليه يمكن أن ينسب هذا الفخار للبليميين مع لفت الانتباه إلى أنه كان يمثل نسبة ضئيلة جداً من جملة الفخار المكتشف

في النوبة السفلى الذي يشير لوجود إثنيات متعددة بالإقليم (مصرية ، رومانية ، سودانية ) كانت تقيم في المنطقة أو تعبرها جيئة وذهاباً.

## ب. المنصات الجنازية الحجرية :

هذه المنصات تمثل الجزء العلوي من القبور وقد تلاحظ ارتباطها بالفخار السابق ذكره . هذه المنصات لا تشبه بأي حال من الأحوال التلات المميزة لقبور ثقافة المجموعة س من النوبة السفلى. طرحت نظرية أنها تمثل مجموعة من بجا الداخل ( بير نوارات) حيث وجد بمعيتها فخار الصحراء الشرقية. القبور تحت هذه المنصات احتوت على جثامين تتخذ الرقدة القفصائية داخل حفر دفن فطحاء. جدير بالذكر أنه تم العثور على دفنات مشابهة وصفها خبير الأنثروبولوجيا الطبيعية ستراوهول ( Strouhal ) في وادي قطنة في النوبة السفلى. أشكال أخرى من القبور ذوات المنصات الحجرية ولكن باختلافات هندسية شوهدت في منطقة سنكات - هيا في ولاية البحر الأحمر السودانية. لكن لم يصل الخبراء لتفسير بشأنها ؛ ربما مزيد من التنقيبات المستقبلية تكشف عن هويتها.

## خلاصات واستنتاجات: نظام الملك والحكم والإدارة في مملكة البجا البليمين

على ضوء المادة التي استعرضناها في الصفحات السابقة المتعلقة بالبليمين سواء كانت كتابية أو أثرية توصلنا للخلاصات الآتية:

### أ. طبيعة الملكية البلمية وأصلها:

الملكية البلمية ملكية رعوية من نوع خاص ، انبثقت من نخبة أرستقراطية يجوز أنها قبيلة البليمين نفسها . ومن ثم اعترفت بقيادتها قبائل أخرى تسكن الصحراء الشرقية ارتضت ترؤسها لهم وتقديماً فروض الولاء والطاعة لها . سبب الانقياد لقبيلة معينة ربما يعود لعوامل اجتماعية توفرت للقبيلة المختارة مثل الثراء في القطيع أو الكثافة العددية . وربما يكون لعوامل تاريخية مثل اشتراكها مع بقية القبائل في الإرث باعتبارهم جميعهم ينتهجون البداوة والحياة الرعوية بكل مناقبها ، مثل التكافل والمرؤة والشجاعة ، وحتى مطالبها ، المشروعة في عرفهم ، مثل النهب والإغارة كأسلوب للحياة. هذا النوع من نظم الحكم الذي يعترف بقيادة نخبة حاكمة (ruling cast) توجد منه نماذج في مجتمعات رعوية في شرق إفريقيا مثل الصومال وفي شمال إفريقيا عند الطوارق.

فيما يتعلق بملوك البليمين لاحظ بعض العلماء أن الشكل المرسوم في الوثيقة الأولمن وثائق الجبلين هكذا (O) باعتباره ختم الملك ، يشبه لحد كبير أشكال هندسية يشاهدها المرء مع رسومات الصخور في الصحراء الشرقية<sup>(63)</sup>. هذه العلامة فرها الأستاذ كوبر بأنها « رمز قبلي » .وقال: في وثيقة الملك خراخان يرمز هذا الشكل لقبيلة البليمين تحديداً. وأشار إلى أن هذا الشكل(O) ينتشر في كثير من مواقع رسومات الصخور في الصحراء الشرقية القريبة من وادي النيل

وفي مواقع داخلية كذلك ويكون مصاحباً له تصاوير لجمال وعلامات أخرى وهو أينما وجد يعني وجود نفوذ بلمي ( انظر الخريطة 2).

الملك البلمي المنحدر من قبيلة أرسقراطية اتخذ أحياناً لقب باسيلوس ( كما في رسالة فونين) وأحياناً أخرى لقب باسيلسكوس. وقد دارجدل كبير في الأدبيات بخصوص استخدام اللقبين عند البليميين والنوباديين، كانت خلاصته أن زعماء القبيلتين كانوا يتجنبون استخدام « باسيلوس » لأنه اللقب الخاص بالإمبراطور. في مختلف ولايات الإمبراطورية الرومانية كان الملوك التابعين للإمبراطورية وزعماء القبائل المتحالفة معها بموجب اتفاقيات كانوا يتخذون لقب « باسيلسكوس» الذي يعني في اللغة الإغريقية الصحيحة ملك ثانوي. تفسيرنا لتسمية فونين نفسه باسيلوس سببه واحد من أمرين؛ إما لجهل من الكاتب وهذا هو التفسير الأرجح ، أو أن فونين في ذلك الوقت قد أعلن تحرره من الاتفاقيات السابقة مع الإمبراطورية وهو جائز في ظل ما ذكرناه من سياسات الإمبراطور مارسيانالذي ربما تسبب في استفزاز القبائل عندما قرر وقف الإعانات. كان ملك البليميين حقوق على رعاياه أهمها الولاء والطاعة والإخلاص. بالمقابل عليه واجبات و مسؤوليات تجاه كل القبائل التي ارتضت قيادته ؛ فهو مسئول مسئولية مباشرة عن تأمين المرعى لحيواناتها ولو اقتضى ذلك الذهاب للحرب. وهو مسئول كذلك عن الحماية الشخصية لرعاياه؛ لقد شاهدنا في رسالة فونين اصرار الملك البلمي على معاقبة الجناة من رجال سيلكو الذين قتلوا آييني المحسوب على فونين. من ذات الرسالة نفهم أن الملك وحده هو الذي بيده إعلان الحرب. وإذا وقعت الحرب يقودها الملك بنفسه.

الملك البلمي ( ومثله نظيره النوبادي) كان يخضع للسيادة الرومانية البيزنطية التي قيده باتفاقيات تجعل من ضمن شروطها الولاء للإمبراطور. هذه الاتفاقيات تُعرف عند الرومان بنظام foederate وهي مطبقة مع كثير من رؤساء القبائل في أطراف الإمبراطورية مثل أرمينيا أو شمال إفريقيا أو بلاد الشام . بموجب هذا النظام تقدم الإمبراطورية لرؤساء القبائل أرض ومعينات مالية سنوية راتبية ، وربما أيضاً منحهم شارات الملك بغرض أن يكون لها دور في اختيارهم. ويعتقد الأستاذ كيروان إن القرص المجنح في صورة الملك سيلكو في معبد كلابشه قُصد منه تجسيد السيادة الرومانية على مملكة سيلكو<sup>(64)</sup> ونحن نتفق معه في هذا الرأي . بالمقابل تلتزم القبائل بعدم مهاجمة حدود الإمبراطورية ، بل تلتزم أيضاً بحماية الحدود من هجمات القبائل الأخرى. وربما طُلب منها أحياناً إرسال مقاتلين من رجالها يقودهم جنرالات محليون للمساعدة في حروب الإمبراطورية. تاريخياً ، تثبت السجلات البيزنطية إن الإمبراطور جستين ( 518- 526 م) كان ينوي إرسال مقاتلين من البليميين والنوباديين لمساعدة ملك أكسوم علا أشيبا (أو كالب في المصادر الأكسومية ) المسيحي في حربه ضد ذو نواس اليهودي ، ملك حمير الذي ارتكب مجازر بحق المسيحيين في ظفار ونجران<sup>(65)</sup>.

برأينا إن أول اتفاقية بين ملك بلمي وبين الرومان كانت في عهد دايوكليشيان وهي التي أشار إليها بروكوبوس. وشملت الاتفاقية ملك النوباديين كذلك. وقد أسست على النظام نفسه ،

نظام ال foederate. وقد أثبتت الأيام نجاحها ، حيث حققت مراميها وهي سلامة الحدود، فلم تحدث تعديت على جنوب مصر طيلة الفترة بين عهد دايوكليسيان وعهد مارسيان. وفي عهد هذا الأخير ( 450-457 م) حدث الهجوم المشترك البليمي النوبادي على المواقع الرومانية في جنوب مصر. لكن بما أن بروكوبيوس ذكر أن الاتفاقية كانت سارية حتى عهد جستينيان ، فهذا يعني أن توقفها في سنة 452م كان مؤقتاً وتم معاودة العمل بها من بعد ذلك. دليل آخر لعودة الاتفاقية ما أشارت إليه بعض الوثائق البيزنطية من أن الإمبراطور جستين الأول ( 518-526م) سلف جستينيان كان ، كما أسلفنا الذكر ، قد فكر في استخدام جنود مقاتلين من البليميين والنوباديين لمساعدة ملك أكسوم ( كالب) في حربه ضد ملك حمير المسيحي ذو نواس. مثل هذا القرار لا يصدر إلا في وجود اتفاقية مسبقة مع القبليتين .

هذا عن السيادة الرومانية على البليميين ، هل كانت لمروي سيادة على مملكة البليميين؟

هناك على الأقل مصدر إغريقي واحد ، رواية إراتوثينس ، زعم أن البليميين والميقاباروي يخضعون لمروي. ربما يصدق هذا الزعم على البليميين النيليين في مراحل مبكرة من تاريخ النوبة السفلى ، لكن حقيقة لا يوجد دليل حاسم على سيطرة مروي على البليميين بعد وصول الرومان لحكم مصر واحتلال إقليم دودي كاسخينوس. من ناحية الآثارم تكشف التنقيبات في الصحراء الشرقية حتى اللحظة ( بحسب مانزو وأدامز ) عن أي أثر للوجود الكوشي المروي في منطقة البطانة الشرقية والمنطقة غرب نهر عطبرة<sup>(66)</sup>.

فيما يتعلق بالإدارة ، اعتمد البليميون النيليون في التدوين على كتبة من خارج القبيلة ، ربما من الجنسية المصرية واستخدموا اللغتين الإغريقية والقبطية. لكن مستوى الإغريقية كأمثدياً لحد بعيد ؛ وهي في رأي بعض الخبراء ، أسوأ في المستوى من الإغريقية الدارجة المعروفة ب pidgin Greek. المدينة الإدارية الأولى هي قصر إبريم ، التي كانت أيضاً أهم مدينة تجارية وفيها يقيم كبار المسئولين . اتخذ هؤلاء الأخيرين ، مضطرين ، ألقاباً بيزنطية مثل فيلاركوس ومعناه الرجل الأول في قبيلته ، أي شيخ القبيلة. اتخذوا كذلك لقب هيبوتيرانوس وهو مقتبس من نظام الإدارة البيزنطية في مصر. الأستاذ Rea في ترجمته لرسالة فونين استخدم لترجمة هيبوتيرانوس لفظة أمير ( prince ) . الفيلاركوسيلي شيخ القبيلة مباشرة في التراتيبية الإدارية ، وهورتقي لمنصب الملك بعد وفاته. وعليه يمكن وصفه ب « ولي العهد » . المصادر تذكر أيضاً الكهنة كمسؤولين إداريين. يتولى هؤلاء الموظفون إدارة أملاك ملك البليميين في المواقع النيلية والمواقع الأخرى المنتشرة في الصحراء الشرقية. أما الملك نفسه ، كما أسلفنا الذكر ، فهو يقيم في الصحراء الشرقية في موقع غير بعيد من ممتلكانه النبيلة.

### مصادر دخل مملكة البليميين:

نستشف من مصادرننا أن مملكة البليميين كانت تحصل على احتياجاتها من الموارد للصرف على مؤسساتها الإدارية ، عبر الوسائل التقليدية المعروفة في الممالك القديمة ، إضافة لوسائل

أخرى. وهكذا ربما شكلت الضرائب والرسوم والإتاوات المورد الأول المهم. الضرائب تفرض على الرعايا المنتجين من مزارعين وحرفيين ومربي الماشية ، والرسوم والإتاوات على القوافل التجارية العابرة وعلى تجارة الموانئ. ومعظم مدخلات هذا المورد يكون في شكل مواد عينية ( محاصيل زراعية ، بضائع ، حيوانات حية إلخ).

وضع البليمين كحليف للرومان ضمن لهم مورد ثابت من المال يصلهم سنوياً يمكن وصفه بالإعانات الإمبراطورية. وهذه كانت تعطى في شكل أوزان أو سبائك من الذهب أو الفضة. في حالة البليمين والنوباديين نرجح الفضة ، حيث جاءت التنقيبات بكثير من مقتنيات القبور مصنوعة من الفضة. وجاء ذكر الفضة في رسالة فونين لأبورني.

من الوسائل غير التقليدية للحصول على موارد وسيلة الإغارة على السكان وعلى الأديرة، والقيام بعمليات نهب وسلب وأسر الرجال والنساء. وتحدثنا المصادر أن الأسرى يتم تخليصهم من الأسر بعد أن تدفع لهم ديات من قبل السلطات أو الكنائس أو الأديرة. هذه الوسيلة لجني المال ربما استهجنها الكثيرون لكنها ربما بدت في عُرف قبيلة البليمين أمراً عادياً يصنف في خانة إرث القبيلة.

### هل استغل البليميون ذهب الصحراء الشرقية؟

الإجابة على هذا السؤال هو أننا لم نعثر في أي من المصادر نصية أو آثرية على مؤشرات بأن البليمين استغلوا الذهب الذي اشتهرت به بلادهم، ربما لصعوبة استخراجها وخطورة العمل في مناجمه . لكن هناك مصادر أشارت للزمرد حيث ذكر ألبفانيوس القيصري أنهم يسيطرون على جبل فيه مناجم الزمرد يقع في وسط المسافة بين برنيك ومنطقة طيبة. وثائق الجبلين تبين ممارسة البليمين تجارة الرقيق ، التي شملت الجنسيتين.

### ثالثاً :بجا الميقاباروي :

جاء ذكر الميقاباروي في عدة روايات كلاسيكية أقدمها رواية إراتوستينس من القرن الثالث ق.م. (أعلاه ص13) ثم رواية سترابو (أعلاه 15).

ما يمكن استنتاجه من الروايتين أن موطن الميقاباروي يتداخل لحد كبير مع البليمين، فهم الأكثر قرباً للبلاد المصرية الجنوبية و كذلك لمروي ، بل هم ، مثل البليمين يخضعون لمروي. وهم ، كما البليمين أيضاً ، استقروا في مدن مصرية جنوبية وتصاهروا مع المصريين . وقد جاءت الإشارة إليهم في برديات مصرية تحت المسمى « مخبر». والدليل على اندماجهم في الحياة المصرية ما جاء في البردية بالديموطيقي ( 15 Hauswaldt ) من عهد بطليموس الرابع التي توثق لزواج شخص اسمه بابوس وصف بأنه « مخبر ولد بمصر». وقد ذكرت الوثيقة اسم والد بابوس حرموسي الذي نتوقع أن يكون بليمي الهوية . لكن في وثيقة مختلفة ( 6 Hauswaldt ) نجد توثيقاً لزواج رجل اسمه حرموسي ( هو بلا شك نفس الرجل المذكور في الوثيقة السابقة) من امرأة مصرية وصف

فيها الزوج حرموسي بأنه « بليمي ولد في مصر ». هذا يشير إلى أن المصريين ما كانوا يفرقون بين الإثنتين البليمية والميقابارية. وربما بفعل التصاهر ذابت الفوارق الإثنية بينهما. ما علاقة مخبر في المصادر المصرية الديموطيقية بالميقاباروي في المصادر الإغريقية؟

خلص الكاتب مولر Moller وزميله شيفليبرج بعد التحري الدقيق، خلاصاً بمساواة مخبر المصرية بميقاباروي الإغريقية التي جاءت في روايتي إراتوستينيس و سترابو<sup>(67)</sup>.

#### رابعاً: بجا التروقوديت:

المؤرخ إراتوستينيس حدد وطن بجا التروقوديت<sup>(68)</sup> في سواحل البحر الأحمر وقال إن هناك مسافة مسيرة 10 إلى 12 يوماً بينهم وبين مروى الواقعة على ضفة النيل الشرقية. لكن سترابو الذي كتب في أواخر القرن الأخير ق.م. لم يميز موطنهم عن بقية القبائل الأربعة التي ذكرها واكتفى بقوله جنوب أسوان. وربما كان في ذلك إشارة لنزوح جماعات منهم من ساحل البحر للنيل منذ نهايات الفترة البطلمية ومن ثم اختلاطهم بالبليميين وبقية القبائل المنتشرة جنوب أسوان.

أما التروقوديت الذين ظلوا على الساحل، فقد جاء وصفهم بتفاصيل دقيقة في رواية مطولة للمؤرخ سترابو لكنه ذكرهم تحت مسميات جديدة بحسب عاداتهم الغذائية؛ مثل « أكلة الجذور، أكلة البذور، أكلة اللحوم، أكلة الأفيال إلخ ». ويبدو أن سترابو كان يملك معلومات محددة عن قبيلة التروقوديت فحدثنا عنها بكثير من التفاصيل. من ذلك قوله إن لهم حكماً يتولونهم، وعندهم عادة شيوع الزوجة، لكن يستثنى من ذلك الحكام فلا يشاركون في زواجهم أحد. ووضح أنه من يغوي زوجة الحاكم يعاقب بدفع غرامة. ووصف سترابو نساءهن وزينتهن قائلاً بأنهن يطلبن جفونهن بلون أسود ويلبسن قلائد من صدف على سبيل التمايم. وقال إن رجال التروقوديت يقتلون بسبب المرعى ولا ينتهى القتال إلا بدخول النساء والتوسل للرجال. كذلك وصف غذاءهم وشرابهم وثيابهم وأسلحتهم. وقال عندهم عادة الختان على الطريقة المصرية. كما وصف عادة دفنهم جثث موتاهم، ثم تحدث عن سفرهم، فقال إذا سافروا يسافرون ليلاً و بصحبتهم أجراس يثبتونها على حيوانات الركوب الغرض منها تخويف الحيوانات المتوحشة<sup>(69)</sup>.

من الكتاب الكلاسيكيين الذين وصفوا عادات قبيلة التروقوديت الكاتب الروماني بلييني الذي وصف بإسهاب كيفية صيد الأفيال بواسطة رجالهم. فقال إن التروقوديت يعيشون على صيد الفيل، وربما قصد بذلك أنهم يعتمدون على الفيل في غذائهم (أكلة الأفيال عند سترابو). وكذلك في الاستفادة من نابه كسلعة تجارية يرغب فيها الأجانب بشكل خاص. قال بلييني إنهم يصطادون الأفيال من علو الأشجار فينزل الصياد على الفيل البطئ الحركة الذي يكون في آخر القطيع ويقبض عليه بشكل محكم ويقوم بتر عرقوبه ليعيقه عن الحركة. فينتج عن هذه الطريقة في الصيد أفيال عرجاء أو أخرى عاجزة عن الحركة تماماً<sup>(70)</sup>.

من ناحية المصادر الرسمية ، تذكر السجلات البطلمية أن بطليموس الثاني فيلادلفيوس (285- 246 ق.م.) كان له اهتمام خاص بالحصول على أفيال إفريقية لاستخدامها في الحرب بعد ما سمع بنجاح حرب الأفيال في الهند وعند السليوقيين في سوريا . ويقال أنه بذل جهوداً كبيرة لترويض الأفيال الإفريقية من البجا لكنه فشل وتخلّى عن المشروع نهائياً. وربما كان من أسباب فشله عدم تفاعل البجا سكان المنطقة الساحلية مع مشروعه وعدم رغبتهم المستمرة في التعامل مع الغرباء. وعن هذه الخصلة حدثنا مؤلف البربليس The Periplus of the Erythrean Sea أو الملاح المجهول الذي يعتبر رائداً في التعريف بالبحر الأحمر وتجارته و موانيه . أشار الملاح المجهول لجماعة من سكان الساحل أطلق عليهم مسمى « أكلة السمك » وصفهم بالبداية والانطواء وقال إنهم يعيشون في كهوف بين الصخور ، وإنهم ينفرون من كل الأجانب الذين يهبطون على الساحل بقصد التجارة<sup>(71)</sup>. برأينا أن مسمى « أكلة السمك » يشير لبجا التروقوديت على وجه التحديد ، وذلك استناداً على رواية إراتوستينس التي تبين أن المسافة بينهم وبين مروى تبلغ مسيرة 10 إلى 12 يوماً. فيما يتعلق بفشل مشروع الملك البطلمي بالتأكد هناك أسباب أخرى منطقية أدت لفشل سياسة استخدام الأفيال الإفريقية في الحرب من بينها صعوبة ترحيلها إلى مصر. ومن بينها كذلك أنها لم تثبت كفاءة عالية تستحق عناء جلبها وتأليفها وتدريبها.

ذات المصادر تنسب لبطليموس الثاني اهتمامه بتجارة البحر الأحمر فتذكر أنه أنشأ على ساحله في أرض البجا مرفأ برنيس ( أو برنيك) ومرفأ بطليموس ثيرون بهدف إنعاش تجارة العاج والصبغ ودروع السلاحف والتوابل والأحجار الكريمة . فبينما اتفق المؤرخون أن مرفأ برنيس كان على السويس في الساحل المصري، نجدهم اختلفوا اختلافاً كبيراً حول موقع بطليموس ثيرون . لكن تم حسم الجدول بعد أن قام العالم كروفوت برحلتين متتاليتين للمنطقة في مطلع القرن الماضي مصطحباً معاه كتابي سترابو وبطليموس وكتاب الملاح المجهول ، وخلص بحثه إلى أن المكان المناسب لموقع بطليموس ثيرون هو موقع عقيق الحالية<sup>(72)</sup>. (خريطة 1).

من العهد التالي لبطليموس الثالث ( 246- 221 ق.م.) نقرأ في نقش عدولية مقولة تنسب للملك. يقول فيها إنه خرج مع والده لحرب الآسيويين مستخدمين أفيالاً جلبوها من بلاد التروقوديت و بلاد الإثيوبيين<sup>(73)</sup>. من ناحية أخرى هنالك العديد من الروايات تتحدث عن مؤسسات بطلمية حكومية تعمل في صيد الأفيال و تذكر أسماء موظفين أرسلوا لساحل البحر الأحمر الإفريقي لإقامة محطات لتصدير الأفيال. من أشهر هذه المحطات بطليموس ثيرون التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة . يعمل في هذه المحطات موظفون مصريون ، يقومون بتحميل الأفيال في سفن ونقلها لمصر حيث يتم ترويضها. و هكذا تؤكد هذه المصادر وصول البطالمة لأرض البجا التروقوديت لكنها لا تحدثنا عن أي أثر ثقافي أو غيره ترتب على وصول الأجانب لهذه المنطقة.

## الهوامش:

- (1) منتصر إبراهيم. السودان باكراً وما قبل التاريخ . نسخة مترجمة من النسخة الإنجليزية : Sudan Early and Pre-history . Sudan is the origin of Humanity . Sudapedia .2018
- (2) Masojc . M. & Ahmed Nasr. EDAR. East Desert Sudan . When the Sahara was . Green
- Polish Archaeological Research on the Prehistory of North Africa. 2019. 59-62.
- (3) . Masojc. M . et al. Saharan Green Corridors and Middle Pleistocene . Hominin Dispersal across the Eastern Desert. Sudan. Journal of Human Evolution . vol. 130. 2019. p.141150-.
- (4) Kirwan. L.P. Studies in the Later History of Nubia .Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology vol. 24. 1937. p. 67105-. P. 70. See also Plumley :
- (5) Plumley.J.M. An Eighth Century Arabic Letter to the King of Nubia. Journal of Egyptian Archaeology. . 61. 1975. 241245-.
- (6) Rilly . C. Language and Ethnicity in Ancient Sudan. in ed. Anderson J.R. and D. A .Welsby .The Fourth Cataract and Beyond. Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies .The British Museum . London .2014 . 1169- 1188. p. 1175.
- (7) Bechhaus-Gerst .M . Beja Identity in Tu -Bedawie . In ed. G. Takacs. Egyptian and Semito - Hamitic ( Afro-Asiatic) Studies in Memorium of W. Vycichl . Leiden. 2004. 195- 204. p.196.
- (8) Michaux-Colombot.D. Pitfall Concepts in the Round of ‘ Nubia’ Ta-Sety, Nehesy, Medja, Maga and Punt Revisited . In ed. Anderson. J.R. and . D. A. Welsby. The Fourth Cataract and Beyond. Proceedings of the 12th international Conference for Nubian Studies. The British Museum. London . 2014. 507522- . p. 516
- (9) Christide. V. Ethnic Movements in Southern Egypt and Northern Sudan: Blemmyes-Bega in Late Antique and Early Arab Egypt. Listy Fologologicke/ Folia philologica/. 1980. Roc. 103. 129143-. p.129130-
- (10) التسميات ( بلهمة ، قرولة ، هرتلة إلخ ) ذات الجرس الذي يوحى بمعناها ، توجد منها أمثلة أخرى لعل أشهرها الإغريقية βαρβρος التي تعني ، بالنسبة للمتحدثين بالإغريقية ، لغة غير مفهومة. ومن باربروس اشتقت لفظة برابرة وهو الاسم الذي أطلقه المصريون الحديثون على المصريين

والسودانيين المتحدثين بلهجات نوبية مثل الكنزية والحلفاوية والمحسية والدنقلاوية. وما زالت لفظة برابرة سائدة في مصر والسودان.

- (11) مصطفى محمد مسعد. بعض مظاهر العلاقات بين الجزيرة العربية وأوطان البجة بشرق السودان قبل الإسلام. منشور في: الجزيرة العربية قبل الإسلام. الكتاب الثاني. الرياض . 1984 . إشراف عبد الرحمن الطيب الأنصاري. 391 - 400. ص 391. مصطفى محمد مسعد. المرجع السابق. ص. 394.
- (12) Paul. A. 1954. A History of the Beja Tribes of the Sudan. Cambridge.1954. p. 20.

الآن لم يعد المصطلح حامي مستخدماً وسط العلماء. يبدو أنه تمت الاستعاضة عنه بالعرق الرابع وهو العرق البني أو عرق البحر المتوسط . لكن اللفظ حامي والعرق الحامي في الأساس اختراع أوروبي ظهر في القرن التاسع عشر قصد بالعرق الحامي أن يكون هو والعرق السامي تصنيفين فرعيين للعرق القوقازي. وقد نسبوا للعرقين الحامي والسامي جلب الحضارة والتقنيات المختلفة لشعوب جنوب غرب آسيا ( الساميون) وللشعوب الإفريقية ( الحاميون). من المفارقات أن النظرية الحامية الأوربية ترفض نسبة العرق الحامي لحام ابن كوش ابن نوح الذي يعتبر في التقاليد التوراتية أب العرق الزنجي.

- (13) Smith. G. E. The Ancient Egyptians and the Origin of Civilization. London & New York. 1911. P. 69.
- (14). محمد صالح ضرا ر. تاريخ شرق السودان. ممالك البجة قبائلها و تاريخها. الجزء الأول. القاهرة. 1992. ص. 36 & 38.
- (15) كريستيد ، مرجع سابق ، ص 130.

- (16) Michaux-Colombot. 2014. op.cit. p. 516.

(17) سامية بشير دفع الله . تاريخ الحضارات السودانية القديمة. ط2. الخرطوم . . 2011ص 128.

(18) توجد قائمة في مقال الكاتبة ليزسكا تحتوي على المصادر الأساسية التي ذكرت المدجاي ، أو موطنهم أو ألقاب ارتبطت بهم منذ ظهور الاسم وحتى نهاية فترة الاضمحلال الثانية. أنظر Liszka:

- (19) Liszka. K. We have come from the well of Ibheth : Ethnogenesis of the Medjay . Journal of Egyptian History. 4 .2011 .p 151-154.

أشارت الكاتبة مشو- كولومبو ، المرجع السابق ، 509 ، إلى منظر غير منشور منحوت في مقصورة قبر لنبييل مصري اسمه شيماي بموقع كوم الكفار في جنوب مصر. كان شيماي حاكماً لمحافظة قفط . يصور المنظر في مساحة تقدر ب ثلاث أمتار ، عدد سبعة عشرة من رجال المدجاي يضعون ريشاً على رؤوسهم . المنظر لا يقطع بأنهم مقاتلون لكنه يشي بأنهم مرتبطون في وظيفة ما مع هذا النبييل ربما كانت عسكرية أو غيرها.

- (20) Smither . P.C The Semnah Dispatches. Journal of Egyptian Archaeology . 31. 1945. p. 310-.

- (21) Liszka. K. 2011. op. cit. p. 157.
- (22) Michaux-Colombot. 2014. op. cit. p. 513.
- (23) انظر سامية بشير دفع الله. تاريخ مملكة كوش: نبتا و مروى. ط2. مطبعة جامعة الخرطوم. 2021\*  
، ص 111 ، 117 ، 123
- Beitak . M. The C-Group and Pan-Grave Culture in Nubia . Sixth International (24)  
Conference for Nubian Studies. Uppsala. 1986. Pre- Publication of Main Papers. In ed.  
.p. 123.- 124 .128-Hagg . T. Nubian Cultures Past and Present . Bergen. 1987. 113
- (25) Rilly . C. Language and Ethnicity in Ancient Sudan.2014. op.cit. p. 1169.
- Updegraph. R. T. The Blemmyes I: The Rise of the Bemmyes and the Roman (26)  
Withdrawal from Nubia under Diocletian. AUFSTIEG UND NIEDERGANG DER  
.ROMISCHEN WELT (ANRW). Berlin and New York. 1988. 44- 106. p. 55
- (27) Macadam M. Fl.Temples of Kawa. vol. I. Oxford. 1949. pl. 16. & Line 16.
- (28) Dafa'alla.S.B. Political and Social Developments in Northern Nubia During the Post-  
Meroitic Period. Unpublished Ph.D. Dissertation. Cambridge University. 1980. P. 5455-.
- (29) عن الرواية و ترجمتها انظر: سامية بشير دفع الله. السودان في كتب الإغريق والرومان. مطبعة  
جامعة الخرطوم. 2021. الموضوع # 14. ص 60 .
- (30) Eide et al. FONTES HISTORIAE NUBIORUM here after: ( FHN ) . vol. ii. Bergen.  
1996. p. 657- 659.No.146.
- (31). Castiglioni et al. The Gold Mines of the Nubian Desert during Meroitic Times:  
the latest Finds from Berenice Panchrysos. The 8th International Conference for  
Nubian Studies. Lile . 1994. 17-. See also the article by the same author. Castiglioni  
et al. The Ancient Gold Routes from Buhen to Berenice Panchrysos. Meroitica 15.  
1999 . 501- 510. p. 503.
- (32). Porter and Moss . Topographical Bibliography of Ancient Hieroglyphic Texts ,  
reliefs and Paintings vol. vii. 2nd ed. Oxford. 1951. p. 20.
- (33). Strabo. Geography. 17. 1. 5354-. See it also in : Eide et al. FHN.vol. III.( No. 190).  
p.828832-.
- .Eide et al. 1998. op. cit. p. 1065. No. 284 (34)
- (35) Magie. D. Scriptorum Historiae Augustae. London. 1967- 1968.( life of Probos.  
Probos 1).

See also:

- سامية بشير دفع الله ، السودان في كتب الإغريق والرومان. 2021. مطبعة جامعة الخرطوم. الموضوع #47. ص 172.
- (36) Procopius. History of the Wars. ( 5 volumes) ed. and trans H.B. Dewing . 1914. vol. 1. The Persian War. p 184- 189.
- (37) Millet. N.B. Meroitic Nubia. Ph.D. Dissertation. Yale University. Microfilm Copy. Michigan. 1969
- (38) Millet. op. cit. p. 5556-
- (39) Haycock. B.G. Philology and the use of written sources in reconstructing early Sudanese history. in ed. Abdalla. M. Studies in Ancient Languages of the Sudan. Khartoum. 1974. p. 6970-.
- (40) تناولت الكاتبة هذه الفرضية بكثير من التفاصيل والنقاش في الباب الرابع من أطروحة الدكتوراه التي قدمتها لجامعة كمبردج:
- Dafa'alla. S.B. Political and Social Developments in Northern Nubia during the Post-Meroitic Period. Cambridge University. 1980. p. 55-86.
- (41) Griffith. F.I . Catalouge of the Demotic Graffiti of the Dodecaschoenus. Oxford.1937. p.104105-.
- (42) Griffith. F. L. Meroitic Inscriptions II. London.1912. pp.2732-. See also Millet: The Kharamadoya Inscription . Meroitic News Letter. 13. 1973. p. 3149-.
- (43). للمزيد عن رواية القس إبيفانيوس انظر كتابي: السودان في كتب الإغريق والرومان. 2021 . الموضوع رقم 50. ص 179. انظر عنه كذلك: 1121- 1115. op. cit. p. Eide et al. 1998. No. 305. ، حيث أبرزوا نسخ للرواية بأكثر من لغة من بينها اللاتينية والقبطية والجورجية . جدير بالذكر إن محرري مجموعة FHN قد اقترحوا توقيت سيطرة البليميين على كلابشة لأواخر عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول ( -378 395 م) مفسرين الخطوة ردة فعل لإصداره المرسوم الذي قضى بإبطال كل مظاهر الوثنية في كل ولايات الإمبراطورية.
- (44) Eide et al. 1998. op. cit. p. 1079 - 1081.No. 293.
- (45) انظر سامية بشير دفع الله. 2021 ، مرجع سابق ص.176-177. موضوع # 49. انظر كذلك تحليل ل. توروك في:
- Eide et al.FHN. vol. iii. 1998. p. 1086 -1087.
- (46) Eide et al.FHN. vol. iii. 1998. p. 1126 and ff.No. 309

(47). رسالة فونين هي واحدة من أربع برديات عثر عليها في حزمة واحدة اكتشفت في قصر إبريم في السبعينات من القرن الماضي. مكتوبة بإغريقية متدنية المستوى. الثلاث الأخريات تتعلق بموضوعات أخرى مكتوبة بالقبطية. عن رسالة فونين انظر :

:Eide et al. 1998. op.cit. p. 1158-1159 ( No. 319).See also

. Skeat . T. C . A Letter from the King of the Blemmyes to the King of the Noubades :Journal of Egyptian Archaeology .63. 1977. 159- 170. See also

Rea. J. The Letter of Phonon to Abourni . Zeitschrift fur Papyrologie und Epigraphic. .34. 1979.147-162

Eide et al. FHN.III. 1998. op.cit. No. 313.p. 1134 .(48)

(49). Eide et al. FHN.III. 1998. op.cit. p. 1138- 1141.No. 314.

(50). Eide et al. FHN.III. 1998. op. cit. p. 1153- 1156. No. 318..

(51).Eide et al. op.cit. p. 1157.

(52). Eide .et al . op.cit. pp. 1147- 1151. No. 317

الترجمة العربية من عمل الكاتبة التي تعتقد أن الترجمة التي قدمها إميري في تقرير تنقيبات قسطل و بلانة والمتعلقة بالسطر الأخير والتي تجري « النوباديين الآخرين الموجودين في الجنوب » ، تبدو أفضل وتعطي المعنى الأقرب للواقع خاصة عندما تقرأ مع نقش الملك عيزانا. أنظر :The Royal Tombs at Qustul and Ballana. Cairo.1938, p.15Emery.W.B.& Kirwan.L.P

(53) المعنى الصحيح في الإغريقية للقب باسيليسكوس βασιλισκοσ هو ملك صغير (Kinglet Eng). لكن المتمعن لاستخدامه في نقش سيلكو سيقتنع أن السياق يقتضي العكس ، وهو « ملك الملوك » أو الملك الأعظم . هذا الأخير مقابله الإغريقي «باسيلوس » . وما يؤكد أن سيلكو قصد أن يقول إنه ملك الملوك وصفه للملوك الآخرين بلقب باسيلوس وأنه لا يتبعهم بل يكون في مقدمتهم.

(54) John of Epgesus. Ecclesiastical History. vol. iv.Trans. Payne-Smith.R. 1860. London.

(55) Eide et al. 1998. op.cit. p. 1108- 1109.No. 301.

(56) Eide et al. 1998. FHN. III. Nos. 331334-.p. 1196 and ff.

(57) Emery.W.B. Nubian Treasure. London. 1948. p. 31.

(58) For the works of Krall and Wessely see Bibliography FHN.op.cit. p. 1197.

(59) Mills . A.J. The Cemeteries of Qasr Ibrim. London. 1982.

(60) Mills .op.cit.. p 1020-18 & 13-.

(61) Cooper.J. A Nomadic state? The Blemmyean-Beja Polity of the Ancient Eastern Desert .The Journal of African History. vol. 61. No. 3. 2020. p. 393.

- (62).Manzo. A. The Eastern Desert in the 1st millennium BCE and 1st millennium C.E. The Oxford Handbook of Ancient Nubia. ed. G. Emberling and B. Williams. Oxford. 2020. p. 671- 696, see especially pp.680-688- and final remarks pp. 688 ff.
- (63) Cooper. 2020. op.cit p. 393-394-.
- (64) Kirwan.L.P. The X-Group Problem. Meroitica 6. 1982. 191-244. p.199. See also: Dafa'alla. S.B. Some Aspects of the History of the Dodekaskhoinos during the X-Group Period. Nubian Letters. Vol. 14. Feb. 1990. p.112-113. p.68-.
- (65) Eide et al. 1998. FHN. III. No.327. p.1185.
- (66). Adams. W.Y. Kush and the People of East Africa. Meroitica. 5, 1979. p. 9.  
التنقيبات التي جرت في العقود الأخيرة حتى عام 2020 لم تكشف عن أدلة تغير من مقولة أدامز في عام 1979. انظر مانزو ، مرجع سابق 2020 . ص 692.
- (67).Möller. G. Mhbr = ΜεΓαβαρος .Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskunde. 55. 1918. p. 798-800. p.79.
- (68). بحسب عالم الكلاسيكيات وارمينغتون الاسم الصحيح للقبيلة هو تروقوديت وليس تروقلوديت. يقول اللفظ الأخير موجود فعلاً عند الإغريق والرومان بمعنى ساكني الكهوف، وكانوا يستخدمونه لوصف جماعات بدائية تسكن الكهوف في أماكن مختلفة من العالم ليس من بينها إفريقيا . لكن يتفق العلماء اليوم إن الاسم الهيلينستي الصحيح لجماعات بدائية في إفريقيا هو تروقوديت بدون اللام، كما أطلقوا على بلاد هذه الجماعات مسمى « تروقوديتيكا » . ويضيف وارمينغتون إن إضافة اللام للاسم في كتابات الكلاسيكيين عمل خاطئ يعود سببه ربما للتعديل الخاطئ للاسم صحيح لآخر متواتر وشائع. انظر وارمينغتون:
- Warmington .G.W. Some Ancient Records of Kordofan. Sudan Notes and Records. 28.1947. p. 24.
- (69). Strabo. Geography. 16.4.817, 13-.  
لترجمة عربية للرواية انظر: سامية بشير، 2021، مرجع سابق، موضوع # 26. ص 109-115. أنظر كذلك :  
Eide et al. 1998. FHN. III. No. 189. p. 820 and ff.
- (70) Pliny. Natural History. 7. 27.  
لترجمة عربية انظر: سامية بشير، 2021، المرجع السابق ، موضوع # 36. ص 146-147.  
وجود الفيل في بلاد التروقوديت أشار إليه كل من سترابو وبلييني الذين وصفا كيفية صيد الأفيال بواسطة رجال التروقوديت. من ناحية أخرى ذكر الكاتب كروفوت الذي زار المنطقة في شتاء عام 1907 م وهو موسم نزول الأمطار، ذكر أنه شاهد زوج خنازير وحشية وغزلان ترعى وسط أعشاب السافانا التي كانت

منتشرة في المنطقة. أنظر:

Crawfoot. J.G. Some Red Sea Ports in the Anglo- Egyptian Sudan. Geographical Journal.

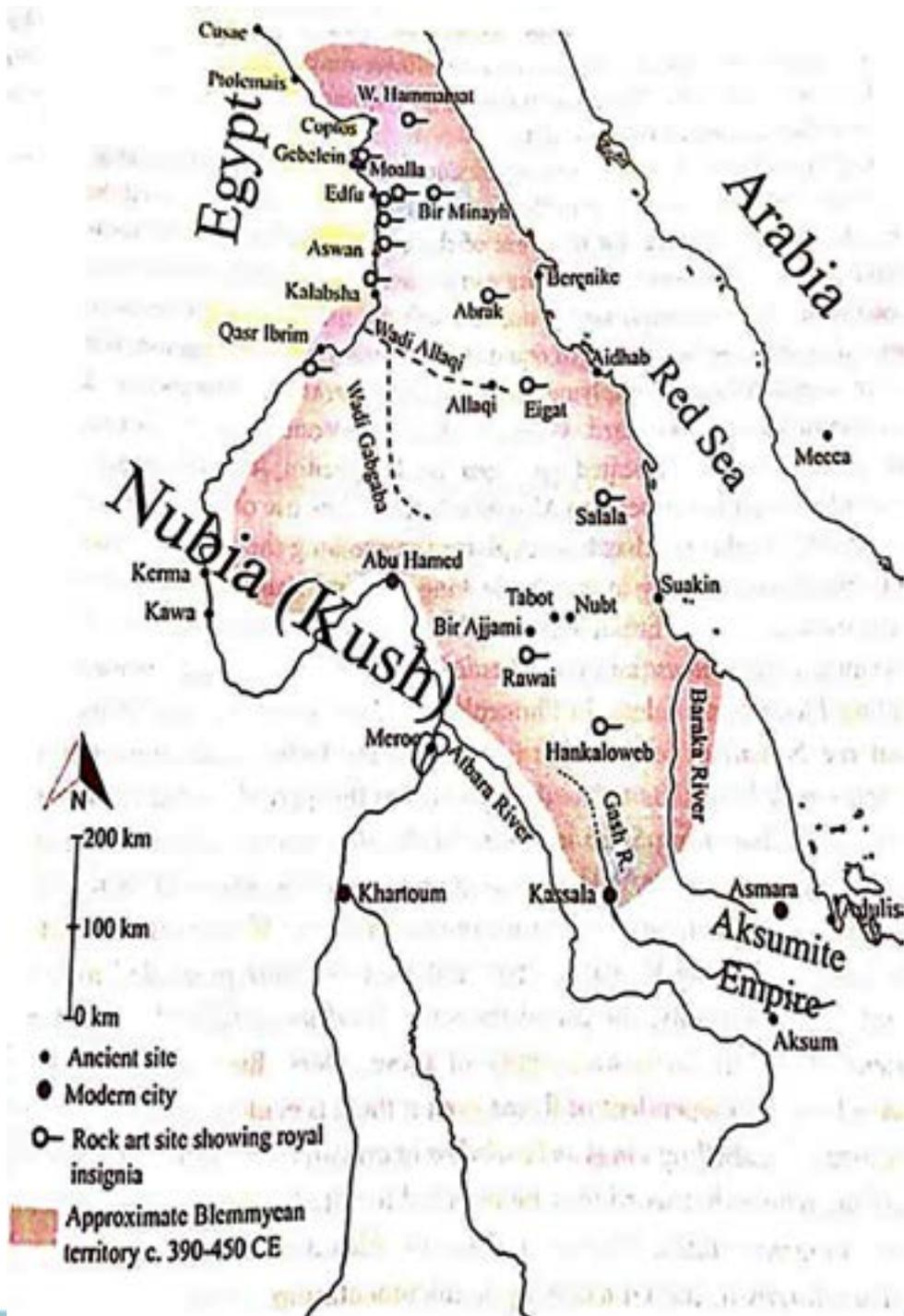
.37.5. 1911

p .530

(71) مذكور في : صلاح الدين الشامي . الموانئ السودانية . القاهرة. 1961. ص 26-27.

(72) صلاح الدين الشامي ، المرجع السابق ، ص -31 38 . بخاصة ص 37-







خريطة 3. السودان في حقبة ما بعد مروي

Source Edwards: Late Antiqu Nubia. 2004